وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: الفلسفة

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:**171735080211**

إشكالية النهضة عند شبلي شميل

مقدمة لنيل شهادة الماستر **LMD** في تخصص الفلسفة

إعداد الطالبة

عوادي لبنى

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
1	د. يوسف بوراس	أستاذ محاضر ب	جامعة مسيلة	رئيسا
2	أ.د بازة الحاج	أستاذ مساعد أ	جامعة مسيلة	مشرفا ومقررا
3	د. أرفيس علي مختار	أستاذ محاضر ب	جامعة مسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية 2022/2021م

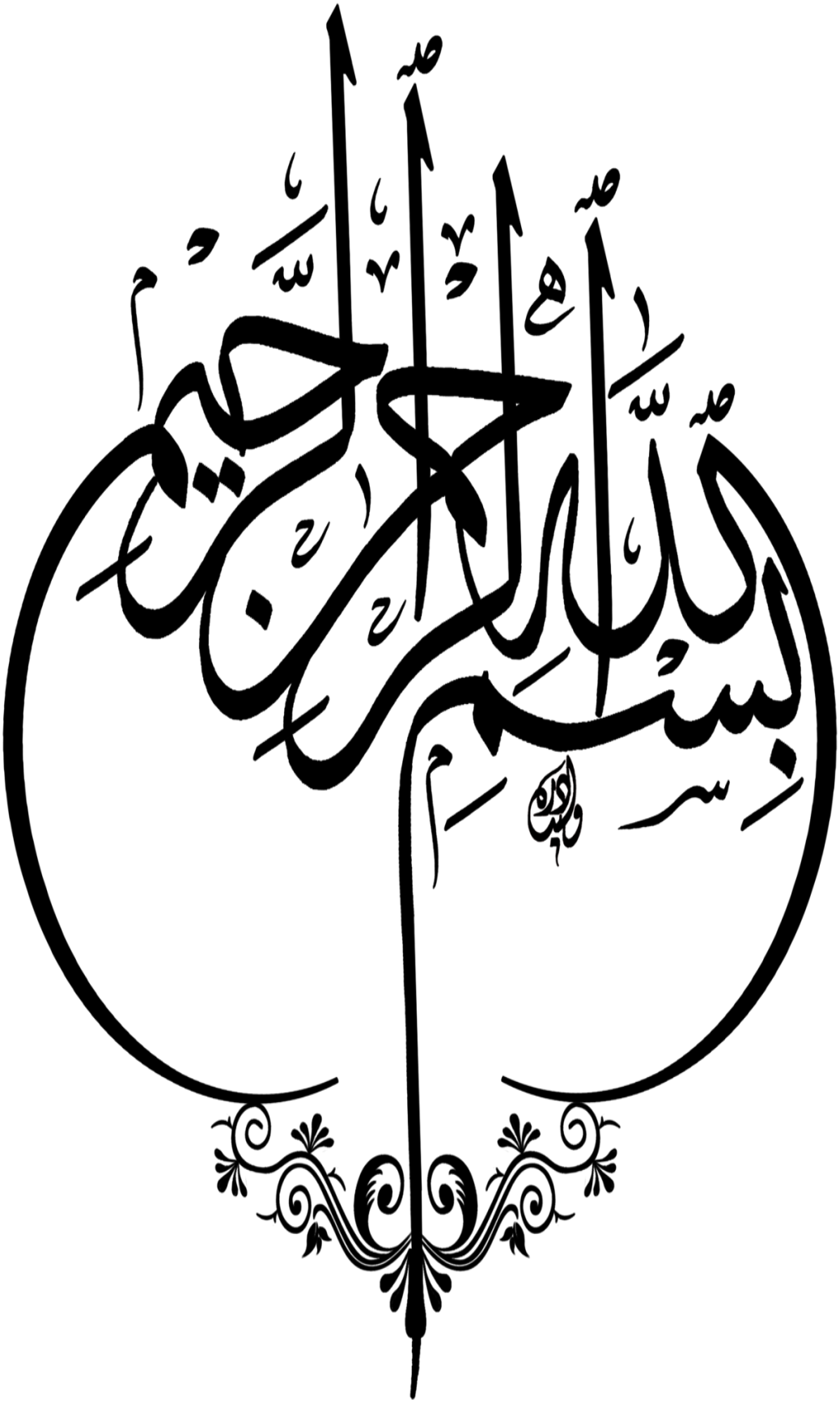
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على صاحب

الشفاعة سيدنا محمد النبي الكريم واله وصحبه

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد فالحمد

الله الذي وفقني للقيام بهذا العمل المتواضع إلى

أمي حفظها الله ورعاها والى أبي سندي بعد الله

عز وجل وأخواتي آسيا ومولود ورفيق والى جميع

أفراد أسرتي والى رفيقتي وصديقتي وئام والى

زملائي في الدراسة والى جميع أساتذتي الكرام

ممن لم يتوانوا أبدا في مد يد العون لي ..اهدي

إليكم بحثي هذا

شكر وتقدير

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه نحمدك

ربي ونشكرك على أن يسرت لي هذا البحث

المتواضع و وفقتني على إتمامها أتوجه بالشكر

والتقدير إلى الدكتور المشرف وأستاذي الفاضل

الحاج بازة الذي له كل الفضل والعرفان على البحث

وفي مسيرة البحث منذ أن كان عنوانا إلى إن صار

رسالة كما أتوجه بالشكر الجزيل والخالص إلى جميع

أساتذة قسم الفلسفة وبالأخص الأستاذ والدكتور

أرفيس علي المختار وأتوجه بالشكر إلى جميع زملائي

والأهل والأقارب والأصدقاء فلهم في النفس منزلة وان

لم يسعف المقام لذكرهم فلهم كل الفضل والشكر

المقدمة

المقـدمة

لعل ما حققته أوروبا اليوم من تقدم وتطور سواء ما تعلق بالجانب العلمي أو بالجانب العملي، هي تلك النهضة والثورة العلمية التي مست كل الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية بعدما كانت تعيش هذه الأخيرة عصورا مظلمة تحت السلطة الاستبدادية لرجال الدين والتي شملت سلطتها كل من في الأرض وبعد ظهور مجموعة من العلماء والفلاسفة تم التحرر من هذه السلطة وفك قيود سيطرتها وانفجار الثورة الصناعية بكافة اتجاهاتها وبالثورة على تلك التعاليم القديمة والمناهج التقليدية التي كانت تعيق دون تقدمها وتزيد تأخرها تم تحقيق النهضة التي كما نراها اليوم، وهذا التقدم يعود إلى فصل الدين عن السياسة وفك السلطة الدينية واتخاذ العلمانية كمبدأ وشرط ضروري للتقدم.

وبينما يعيش الغرب الأوروبي هذا التطور المبهر الذي شمل كل المجلات فعلى العكس من ذلك يعيش العالم العربي نوعا من الجمود والتخلف الفكري وشمل هذا الانحطاط الحياة كلها، وأمام هذا الوضع المزري تنبه بعض المفكرين العرب لخطورة هذا الأمر وإدراك واقعهم المتخلف، فمنهم من أقر أن السبيل الوحيد للتحرر والتقدم والتخلص من التخلف والجهل لا يكون إلا بواسطة العلم والثورة على التراث القديم والمناهج الكلاسيكية وكذلك التحرر من ربقة العلوم الدينية المليئة بالخرافات والأوهام، وكثيرا ما ارتبط هذا الأمر بالدرجة الأولى بظاهرة الاستبداد ومحاولة الحكام استغلال الدين للبقاء على حال الفساد ونشر الظلم والقهر في المجتمعات العربية، أما البعض الآخر فاتخذ من الدين منبعا أساسيا للقضاء على هذا التخلف والتمسك بالتراث القديم لكن بفهم جديد.

وفي مطلع القرن التاسع عشر برزت العديد من التيارات الفكرية باختلاف مضامينها تدعو إلى النهضة، فنجد تيارين متقابلين تيار الإصلاح الديني والذي يمثله كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا والذي يدعو إلى الرجوع إلى مبادئ العلوم الدينية الإسلامية وآدابها والتمسك بالتراث القديم، ومن جهة أخرى نجد التيار الليبرالي التغريبي والذي برز فيه كل من فرح أنطون وسلامة موسى إلى جانب شبلي شميل ويدعو هذا التيار إلى التحرر الفكري والقضاء على الخرافات الدينية وتبني قواعد العلم والعقل والابتعاد عن التصورات الدينية كشرط ضروري لتحقيق النهضة على

مستوى ما تعانيه الأمة العربية من تدهور في السياسة، الاقتصاد والتعليم ويدعو إلى استعمال السلطة العقلية في كافة شؤون الحياة.

فخصصت دراستي بدرجة أولى إلى قضية النهضة العربية وكيف يمكن تجاوز هذا التخلف وتحقيق نهضة فعلية مثل التي كانت عليها النهضة الأوربية في عصر التنوير ويأتي في مقدمة المهتمين بها الدكتور شبلي شميل، حيث يعتبر من أبرز رواد عصر النهضة في الفكر العربي الحديث ورائد التفكير العلمي بآرائه العلمية والفلسفية والاجتماعية، حيث تناولت النهضة في فكره وكيفية قيامها حيث اشتهر شميل بجرأته وصراحته ونظريته في تفسير أصل الحياة فأخذ على عاتقه تحقيق نهضة من خلالها وتجاوز مرحلة اليأس إلى مرحلة الفعل واللحاق بركب الحضارة.

وتتمحور الإشكالية التي انبنى عليها موضوع دراستي "**إشكالية النهضة عند شبلي شميل**" كالآتي:

- **ما مضمون النهضة الذي يدعو إليها شميل؟ وهل الأخذ بها كفيل مستقبلا عن ظهور حضارة راقية مثل التي عليها أوربا ؟**

وللإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدت على خطة بحث تضمنت مقدمة، وفصل تمهيدي وفصلين رئيسيين ويليهما الخاتمة.

تناولت في **الفصل التمهيدي** الذي هو عبارة عن مدخل عام حول الموضوع حددت فيه بعض المصطلحات الأساسية في فكر شميل وهو بعنوان ضبط المفاهيم ويحتوي على ثلاثة مباحث ، المبحث الأول بعنوان مفهوم النهضة لغة واصطلاحا مع الإشارة إلى النهضة العربية واتجاهاتها ، أما المبحث الثاني كان بعنوان مفهوم الداروينية إذ تطرقت فيه إلى شرحها وجذورها في القديم ،وفي المبحث الثالث تناولت مفهوم العلمانية ونظرة بعض المفكري العرب للعلمانية.

أما **الفصل الثاني** بعنوان المنهج التطوري في فلسفة شميل الذي ينقسم إلى ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول ذكرت الخلفية المؤثرة في فكره وهي النظرية الداروينية التي تعتبر ركيزة أساسية في

فهم الكون من منظوره، وفي المبحث الثاني تكلمت عن المادية في فلسفته أما المبحث الثالث تطرقت فيه إلى نظرية النشوء والارتقاء.

وفي **الفصل الثالث** عنونته النهضة في مشروع شبلي شميل حيث يتضمن ثلاثة مباحث، في المبحث الأول ذكرت أسباب إعاقة العرب، أما المبحث الثاني إستراتيجية تجاوز التخلف، وفي المبحث الأخير نقدت فيه نظريته التي تتعلق بالنشوء والارتقاء.

وأثناء قيامي بدراسة هذا الموضوع اعتمدت على المنهج التحليلي كونه يخدم موضوعي حيث قمت بتحليل فكر شميل وفهم نهضته ولا سبيل لذلك إلا أن استخدمت التحليل كأداة لذلك.

أما الدوافع التي كانت وراء اختياري لهذا الموضوع فهي دوافع ذاتية وأخرى موضوعية ، فأما الدوافع الذاتية فتمثلت فيما يلي:

- كونه موضوع حساس حيث يطرح قضية النهضة في المجتمع العربي.
- كذلك حبي للاستطلاع إلى موضوع انتمي إليه حقا وأعيشه في كل زواية وحبي للفضول للمعرفي للكشف عن النهضة التي يريدها شميل.

أما الدوافع الموضوعية:

- تسليط الضوء على قضية النهضة في فكر شميل العلماني.
- معرفة مدى تأثير الداروينية على فكر شبلي شميل.
- تعداد الأسباب التي لا حصر لها في تخلف الشرقيين من زاوية شميل .
- التعرف على مشروع شبلي شميل النهضوي والبدائل التي اقترحها لتجاوز مظاهر التخلف في العالم العربي.

الفصل الأول

ضبط المفاهيم

المبحث الأول: مفهوم النهضة.

المبحث الثاني:مفهوم الداروينية.

المبحث الثالث:مفهوم العلمانية.

الفصل الأول: ضبط المفاهيم

تطرقت في هذا الفصل إلى بعض المفاهيم الأساسية لفهم إشكالية النهضة عند شبلي شميل التي تعتبر من المصطلحات التي ارتكز عنها فكره وفلسفته وأرائه العلمية والاجتماعية بداية مع مفهوم النهضة باعتبارها القضية الجوهرية في فكر شميل وإلى مفهوم الداروينية التي أخذت مكانة خاصة في منظومته كونه تأثر كثيرا بالنظرية الداروينية لتشارلس دارون وإلى مفهوم العلمانية باعتباره من رواد الاتجاه الليبرالي التغريبي الذي ينادي بفصل الدين عن السياسة.

المبحث الأول: مفهوم النهضة

أولا/ من الناحية اللغوية

في معجم الوسيط نهض، نهضا، قام يقظا نشيطا – ويقال نهض من مكانه إلى كذا قام وتحرك إليه مسرعا ونهض إلى العد وأسرع إلى ملاقاته... والنهاض الدؤب على أن يسلك سبيل التقدم– و– الكثير النهوض ويقال: مكان نهاض: مرتفع – والنهضة: الطاقة والقوة والوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره ويقال كان من فلان النهضة إلى كذا حركة وهو كثير النهضات أي أن النهضة هي تغير حال من حال سكون إلى حال حركة ونشاط وتقدم في أي مجال أي حركة مسارها من وضع خامل إلى وضع نشيط وهي حركة أو ثورة في مجال التقدم الاقتصادي والسياسي وغيره[1].

وإذا عدنا إلى لسان العرب ابن منظور فإننا نقول: نهض، النهوض:البراح من الموقع الموضع والقيام عنه نهضة ينهض ونهوضا وانتهض أي قام وأنشد ... واستنهضه لأمر كذا إذا أمرته بالنهوض له وناهضته قاومته، والنهضة بسكون الهاء العتبة من الأرض تبهر فيها الدابة أو الإنسان يصعد فيها الدابة أو الإنسان يصعد من غمض والجمع نهاض...[2].

[1] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، 2004،ص ص958 –959.

[2] ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف،د.ط ، القاهرة، ص4560.

إذن النهضة وبالعودة إلى قواميس ومعاجم باللغة العربية فإنها مشتقة من الفعل الثلاثي نهض بمعنى قام وتحرك أو بمعنى نهض من مكانه بمعنى غيره وكذلك بمعنى الانتقال من حالة سكون إلى حالة نشاط وحركة.

وأما النهضة في معناها الاصطلاحي فإن مفهومها لا ينتمي إلى الحقل الدلالي الأصيل فحينما نعود إلى القواميس والمعاجم العربية لا نجد المفهوم المعاصر للكلمة،بل أنه تقريب للكلمة الفرنسية Renaissance وهي بدورها لها معنيان اثنان: الأول هو تجدد وانبعاث الأمة في مجموع أحوالها بدافع عامل أو مجموع عوامل أثارتها وتغلبت على بقية العوامل أما الثاني فهو الانتباه لوجوب إحداث التغيير ومحاولة الشعور ببداية وقوعه[1].

ما النهضة بمفهومها الخاص في حركة إحياء التراث القديم، أما بمعناه الواسع فهي عبارة عن ذلك التطور في كل الفنون والآداب والعلوم وطرق التعبير والدراسات وما صاحب ذلك من تغيير في أسس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية[2] إذن هي حركة تقدم وتطور يشمل كافة المجالات وهي حركة إحيائية للتراث والآداب والعلوم القديمة.

وتطلق كلمة النهضة على الحركة الثقافية التي بدأت في ايطاليا في منتصف القرن الرابع عشر واستمرت حتى القرن السابع عشر، وامتدت من إيطاليا إلى بقية أوروبا كانت باسم Restituto لأنها قامت بإحياء التراث اليوناني أنذاك وانفتحت على ما به من أفكار حتى ولو كان مخالفا للكنيسة وقد تمثل في إحياء الفلسفة الطبيعية والعلم الطبيعي، حيث أعيد قراءة أرسطو ولكن باستعمال منهج جديد[3].

بمعنى أن النهضة هي تلك الثورة التي قامت في أوروبا والتي نادت بالعلم والدعوة إلى ابتكار مناهج جديدة وقراءة جديدة للتراث اليوناني، إذا فكلمة النهضة هي الإحياء وبعث الآداب القديمة إذن

---

[1] جيرارد جبها مي: موسوعة لمصطلحات الفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر،ج3، ط1،مكتبة لبنان، بيروت، د.ت، ص 2001.

[2] مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان،الأردن،2009،ص313.

[3] عبد المنعم الخفني: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج2،مكتبة مدبولي، د.ط، القاهرة،1999،ص1432.

هي حركة إحياء التراث القديم، كما يجدر الإشارة أن كلمة نهضة تقابلها العديد من المرادفات والتي تحمل نفس المعنى فهي تقابل معنى الإصلاح ومعنى التجديد ومعنى الثورة و الانبعاث.

أما البعض الآخر فيعرفها على أنها هي حركة ديناميكية تاريخية تشكل صراعا لما كان راكدا وتفتيحا لأذهان منغلقة في سجون ضيقة[1]. بمعنى أنها عبارة عن إحداث انقلاب لوضع سابق وتغير في أسس الحياة بكافة مجالاتها سواء الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

أما بالنسبة إلى النهضة إذا اعتمدنا على مفهوم النهضة الأوروبية فإنها تدل على حركة الإحياء لتراث القديم ومفهوم النهضة عموما هو ذلك التطور الذي الفنون والآداب والعلوم.

والنهضة كما يفهمها سلامة موسى أن النهضة التي ارتبط بأوروبا هي الحركة التاريخية أو بوجه أدق هي الانتقال من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي ومن النظام الإقطاعي إلى نظام الرأسمالي والانتقال من الغيبات إلى العقلانية ومن العقد الإلهي المقدس بين الملك والرعية إلى العقد الاجتماعي بين البشر[2].

وكلمة النهضة توازي مفهوم التقدم في مواجهة التخلف بغض النظر على ارتباط أحد هذين المفهومين بالشرق أو الغرب أو عد ارتباطه وبعض النظر عن طريقة سبيل وتحقيق هذا التقدم بالرجوع إلى الماضي أو قطع الصلة بالماضي وبغض النظر عن مرادفته أو عدمها بمفهوم التحول أو التغير والتخطي وهو المعنى الذي أراده أصحاب النهضة جميعا بعيدا عن اتجاهاتهم وما زالوا يريدونه ويناضلون من أجله[3].

إن النهضة بشكل عام هي تضافر جمود مجموعة من الأفراد إنتاج الإنسان عبر الأجيال لأحداث تعبر عن مستوى مجتمع معين[4].

والنهضة من خلال ما سبق ذكره هي الانتقال ومع راكد وساكن إلى وضع نشيط والانتقال من حال التخلف والتحجر إلى حال التقدم والتطور وهي عملية انتقالية وتجاوز إنغلاق فترة زمنية معينة سبقتها.

---

[1] رزان محمود ابراهيم:خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق،عمان،2003،ص20.

[2] عبد الآله بلقزيز: الثقافة العربية في القرن العشرين، مركز الدراسات الوحدة العربية،د.ط، بيروت،ص 211.

[3] نعيم الباقي: حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة، دار الإنماء الحضاري، ط1، 2000م،ص 13.

[4] حسين مؤنس: تاريخ موجز للفكر العربي، دار الرشاد، د.ط، 1996،ص340.

ثانيا/النهضة العربية:

بعد الثورة التي قامت في أوروبا في القرون الماضية، حاول العرب بدورهم إحداث ثورة وانقلاب في أوضاعهم بعد ما سد التخلف والجمود الفكري في جميع المجالات فسعوا إلى تجاوز التخلف بعد إدراكهم لواقعهم، وأي تقدم أو حديث عن النهضة لابد أن يبدأ بالإنسان أولا لأنه المحور الأساسي فيه وأولى الخطوات لتحقيق هذا هو تحرير الإنسان من أسس الأوهام ومن أسر تلك الأغلال التي تعرقله وتصده عن التفكير السليم[1].

وحديثنا اليوم عن تلك النهضة العربية التي كانت في منتصف القرن التاسع عشر حيث تعتبر المرحلة الحاسمة للعرب في تاريخهم... على اعتبار ظهور حركة تنويرية في الشرق العربي وبعث الآداب العربية واتساع المزاج المعادي للإقطاع وظهور ونمو الوعي القومي من قبل الثقافة الغربية على الثقافة العربية[2].

إلا أن هذه النهضة تلتها مرحلة سقوط الدولة العثمانية ولم يعد خاصا أن الدولة العثمانية قد ولدت وتطورت من خلال العرب وكان دافعها الوحيد اقتصادها وتوفير الأموال في لجيشها الانكشاري وتلبية مطامع السلطة الإقطاعية[3]...وفي ضل غياب تحمل الدولة الإقطاعية الشرقية أعباء تقدم المجتمع وتطوير قواه المنتجة فان التخلف الشديد في القوى الإنتاجية سرعان ما دب في أطرافها كما انقطعت موارد الفتوحات وظهر الفساد في أنظمة الالتزام ونقص الضرائب أنذاك ونقص التي كانت تفرض على الشرقيين[4].

[1] محمد العبدة: : دروب النهضة أحاديث في الثقافة وشؤون الأمة، دار الإعلام، ط1،عمان الأردن، 2003م، ص07.

[2] أحمد برقاوي: في الفكر العربي الحديث والمعاصر، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،ص18.

[3] المرجع نفسه، ص18.

[4] المرجع نفسه، ص 19-20.

وكان القرن السابع عشر بداية ضعف الدولة العثمانية، والقرن الذي يليه عصر انحطاطها حيث انحطت الزراعة وتقلصت الأراضي في جميع مدن العربية، ونفس الأمر للتجارة وسرعان ما دب الضعف حتى في حماية حدودها[1].

إذن القرن السابع عشر هو بداية انهيار الإمبراطورية العثمانية وانهيار اقتصادها وتجارتها وانتشر الفساد داخلها وخارجها، ومن الطبيعي في وضع سياسي واجتماعي، واقتصادي كهذا أن تتخلف الحياة الثقافية تخلفا مريع، إذ تراجع الإبداع الفلسفي وتوقف الاجتهاد الفقهي وشهد الأدب العربي انحطاطا في جميع فروعه [2]، فالتخلف والانحطاط في وضع كهذا يعتبر أمرا حتميا.

إذن القرن التاسع عشر يعتبر بداية جديدة بالنسبة للإمبراطورية العثمانية والمجتمعات العربية بشكل خاص. وبدأت الإمبراطورية العثمانية تتلاشى ببطئ وتضمحل كما أنها لم تقدر على منع انتشار الرأسمالية الغربية خارج أوطانها، معا مهد هذا الأمر الظروف المناسبة للتوسيع الرأسمالية الأوروبية وكان ذلك لذلك الأمر أن نمت التجارة ونشأت البرجوازية الصناعية ومنها تخلف وانهيار الإمبراطورية العثمانية وتخلفها.

وكذلك يجدر الإشارة إلى دور الطباعة فيما يتعلق فالحياة الثقافية فإن نمو العلاقات التجارية مع الغرب أدى كذلك إلى التعرف على المنجزات الثقافية الأوروبية بشكل عام، وإلى التأثير المباشر في الحياة السياسية والأوروبية بغض النظر عن الأهداف الاستعمارية لانتشار الإرساليات التبشيرية الدينية الأوروبية[3].

[1] أحمد برقاوي: المرجع نفسه ،ص19-20.

[2] المرجع نفسه،ص20.

[3] المرجع نفسه،ص22.

وفي منتصف القرن التاسع عشر كان بداية عصر النهضة العربية بشتى أشكالها الثقافية والفكرية والسياسية والاجتماعية، حيث أخذ المفكرون يغوصون في أعماق الحياة المعاصرة من أجل تحديد الهوية والثقافة ومقومات المدينة المعاصرة وخصائص الحضارة العربية[1].

كان الشرق أنذلك كما هو معروف على عتبة تطورات حياتية واجتماعية كبرى[2]. إذ بدأ المفكرون العرب بادراك واقعهم المتخلف بعد ما انتشرت مظاهر التخلف الفكري وسرعان ما لمست كل المجالات، كما أفسح المجال أكثر أمام التيارات الهادفة إلى إحياء التراث من جهة وتلك التيارات الفكرية والعلمية والتربوية الوافدة من الغرب[3].

كما يصدر الإشارة أيضا إلى دور الطباعة حيث انتشرت الطباعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في لبنان ومصر وسوريا انتشارا واسعا وتعددت دور النشر وراح أصحابها يسعون وراء المخطوطات القديمة والمكتبات العامة والخاصة لينشروها[4].

كذلك بالإضافة إلى ما قام به المستشرفون في هذا المضمار مع ماله من قيمة علمية وما أداه من خدمات لتاريخ الفكر العربي[5]. وبدأ العقل العربي يستوعب مدى خطورة هذا الأمر وبدأ عصر التنوير يدب في الأوطان العربية حيث يقول أبو زيد فاروق إن ما أنجزه العقل العربي في عصر التنوير لا يقل عما أنجزه العقل الأوروبي في عصر التنوير[6].

---

[1] ماجد فخري: الحركات الفكرية وروادها اللبنانيون في عصر النهضة، 1800-1932، دار النهار، للنشر د.ط، لبنان، 1992، ص08.

[2] المرجع نفسه،ص08.

[3] المرجع نفسه،ص09.

[4] ضيف الله محمد الأخضر: محاضرات في النهضة العربية،ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر،ص 09.

[5] جميل صليبا وآخرون: الفكر الفلسفي في 100 سنة، 10.

[6] أبو زيد فاروق: عصر التنوير العربي، بيروت، 1983،ص23-24.

كما تعددت اتجاهات النهضة العربية، فمنهم من نادت بإحياء التراث وبناء نهضة على أساس ذلك، وتقديم فهم جديد للتراث يستجيب لمتطلبات العصر يتسم بالجدة على المستوى المضمون والاتجاه التغريبي الداعي إلى التحرر والسير لركب على هذا الأساس[1].

والذي تزعمه شبلي شميل[2]. أي تأسيس الحقائق على أساس العلم وفصل الدين عن السياسة وفك قيود التخلف والأخذ بنظرية النشوء والارتقاء كحقيقة علمية مؤكدة وناد بالعلمانية كشرط ضروري لتجاور التخلف واللحاق بركب الحضارة، كما أن التطور الذي شهد في الغرب الأوروبي جعل المفكرون يطرحون السؤال الآتي لماذا تخلفنا وتأخرنا؟ وهذا سؤال جوهري مما جعل المفكرون العرب باتخاذ أوروبا نموذج في تطورها وتقدمها في تحقيق النهضة العربية.

كما جرى الإقبال على تحديد مقومات النهضة مثل قضايا التمدن والرقي والعلم والمساواة والحرية وما شاكل ذلك[3]. إن التخلف التي كانت تعيشه المجتمعات العربية والجمود الفكري جعلها تستفيق من سباتها وركودها ومحاولة القضاء على هذا التخلف الذي انتشر في جميع أوساطها وكان الحل باختلاف اتجاهاتها كالحل الديني والتيارات الإسلامية والليبرالي أي الأروية[4].

المبحث الثاني: مفهوم الداروينية

ولعل من بين المفاهيم الأساسية التي ارتكز عنها فكره، حيث اهتم هذا الأخير بنظرية الداروينية وبنى منظومته على أساس الداروينية داروين[5] يعرف اندري لالاند في معجمه نسق حياوي بيولوجي

---

[1] حسين سعد: بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند بعض المفكرين العرب المسلمين في مصر، ص07.

[2] شبلي شميل: شبلي شميّل، 1917/1850.مسيحي لبناني من طلائع النهضة العربية. تخرج من الكلية البروتستنتية / الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم توجّه إلى باريس لدراسة الطب، ثم استقر في مصر، أقام في الإسكندرية، طنطا، ثم القاهرة .أصدر مجلة سنة 1886م، وكان أول من أدخل نظريات داروين إلى العالم العربي من خلال كتاباته في المقتطف.

[3] أحمد برقاوي،المرجع السابق، ص15.

[4] ابراهيم سعدي، المجتمع العرب نظرات في الفكر والثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر،2009. ص63.

[5] تشارلس دراون1809–1882 عالم طبيعي بريطاني ومع نظرية تطور الأحياء عالج من خلالها مسائل نفسية وأخلاقية، أبرز مؤلفاته مؤلفاته كتابه أصل الأنواع.

وفلسفي عند دارون فضلا عن المعنى العام يقال هذه الكلمة بمعنيين خاصين أولهما مقابل النشوئية evoleticeneisme بعامة تدل الداروينية على المذهب التحولي الذي يقول أن الأنواع تخرج مع بعضها البعض الذي بنحو خاص الجنس البشري ينحدر من أنواع حيوانية وثانيهما في مقابل نظرية لامارك Lamark وسبنسر SPENSER تحول بالدربة والوراثة وتدل الداروينية على النظرية القائلة أن التحول مرده إلى البحث الطبيعي أساسا[1].

ويعرفه جميل صليبا في معجمه الفلسفي مذهب داروين وتطلق على المعنيين التاليين الداروينية مذهب التحول والتبدل Transformisme وهو القول أن الأنواع تنشأ من بعضها البعض ولا سيما النوع الإنساني فهو منحدر عن الأنواع الحيوانية التي ترجع إلى أصل واحد والداروينية أيضا هو القول أن تبدل الأنواع ناشئ عن الانتخاب الطبيعي Séletion naturelle وهي بهذا المعنى مقابلة للمذهب لامارك وسبنسر الذي يقول أن تبدل الأنواع ناشئ عن التكيف بواسطة الممارسة والوراثة[2].

وفي تعريف آخر الداروينية Darwinsism مذهب داروين 1882 ونظريته في تطور الأحياء وقوام هذه النظرية التبدل والتحول ... وترى هذه المدرسة أن تبدل الأنواع ناشئ عن الانتخاب الطبيعي أما الداروينية الجديدة فهي نظرية الفريد والاس 1912 الذي جعل الانتخاب الطبيعي أساس التعديل في الإحياء إلا في الإنسان... فهذه الداروينية مؤمنة والداروينية الأولى ملحدة[3].

وقد نشر داروين كتاب أصل الأنواع عام 1859 والذي طرح فيه نظريته في النشوء والارتقاء مما زعزع القيم الدينية وترك آثار سلبية على الفكر العالمي وتتخلص نظرية دارون في أصل الارتقاء أصل الحياة خلية كان في مستنقع أسس قبل ملايين السنين... ومرت بمراحل وانتهاء بالإنسان...

[1] أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفة، تر: خليل أحمد خليل،ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس،2001،ص 244.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،1982، ص556.

[3] محمد لوزواوي:معجم المصطلحات الفلسفية، الدار الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 2009، ص103.

تتطور من السهولة من الدقة إلى التعقيد ومن الاحط إلى الأرض والطبيعة وهبت الأنواع القوية عوامل البقاء والنمو والتكييف...[1].

وتتدرج الأنواع تحت سلم الارتقاء في علاقة تسلسل مع بعضها بعض عبر الانتخاب الطبيعي للأقوى بين الأنواع إذن ومذهب دارون يقول على الأنواع الحية وخاصة الإنسان آنية من أصول حيوانية تتحول الأنواع عبر تنازع البقاء وبالانتخاب الطبيعي من البساطة إلى التعقيد.

وعندما نفكر مليا في التنوع الهائل للنباتات والحيوانات التي وضعها تحت التعهد والرعاية، والتي قد تمايزت في خلال جميع العصور تحت تأثير أشد الاختلافات في الأجواء والمعالجة والتمايل غير المحدد هو نتيجة النتيجة أكثر شيوعا كثير من الظروف المتغيرة عن التمايز المحدد وقد لعب في الغالب دورا أ كثر أهمية في أعراقنا الداجنة.

فالإنسان مشيد على نفس الطراز مثل الحيوانات الثديية الأخرى سواء في العظام أو هيكله مثل القرد والخفاش أو فقمة والأمر نفسه بالنسبة للعضلاته وأعصابه وأحشائه والمخ[2]

أولا/جذور الداروينية:

صحيح أن اسم المذهب الداروييني يعود إلى العالم البريطاني تشارلز دارون ومذهبه في النشوء والارتقاء، لكن هذا المذهب قديم يرجع إلى آلاف السنين وقد نرى في أثره في الخرافات الدينية التي وضعها حكماء بابل وآشور ومصر فكانوا يقولون بأن آثر الكواكب واشتراك بعضها مع بعض كان سبب نشوء الأحياء في الأرض وأنها لم تنشأ إلا بالتدرج درجة على درجة وأنه بتأثير الكواكب السيارة في عناصر الأرض قد تعاقبت الأحياء فيها[3].

[1] مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، ص216.

[2] تشارلس داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي للطبيعة،تر:مجدي محمود المليجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة مصر، 2005، ص91.

[3] تشارلس داروين: أصل الأنواع، تر: اسماعيل مظهر،ص11.

حتى إنهم ليرون في خلق الإنسان خرافة من خرافاتهم إذ يقولون بأنه بدء التكوين لم يكون إلا كتلة لزجة لا شكل لها ولا صورة ... ومن ثم أثرت الطبيعة في تلك المادة فتقلبت في أطوار النشوء بلغت حدها الأخير الصورة البشرية[1].

وكانوا يقولون بأن الدور الكامل سبعة آلاف سنة ينفرد كل كوكب من الكواكب السيارة في التأثير في ستة آلاف سنة التي يكمل بها الدور كوكب من الكواكب الأخرى وهكذا دواليك على مر العصور وتتالى الأجيال وإن اشتراك كل كوكب من الكواكب صاحب الدور ينتج تأثيرا خاصا بهما. وإن ذلك هو السبب في اختلاف صور الأحياء والأنواع[2].

وكان حكماء اليونان أول من نظروا في حقيقة الأكوان نضرا فلسفيا فيه روح تريث والحكمة ولا مشاحة في آن ما أتى به هؤلاء الحكماء من مبادئ التحول ضئيل لا يعتد به ولعلم ما ضاع من فلسفتهم كان سببا في ضياع الكثير من المذاهب العلمية والمبادئ الفلسفية، لأن ما يظهر في كلام "**انكسمندر**" الذي ولد 610 ق.م بدل واضح الدلالة على أن بحوث مستفيضة قد تقدمت في بحثه في الأرض وتطورها[3].

حيث على حد تعبير "***إن نشأة المخلوقات الحية منسوب إلى تأثير الشمس في الأرض... وان الأرض كانت في البدء طينية ورطبة أكثر مما هي عليها الآن فلما وقع فعل الشمس فارت العناصر الرطبة في جوفها... فتولدت الحيوانات ... غير أنها كانت كثيفة ذات صور قبيحة وغير منتظمة... غليظة تمنعها من التحرك والتناسل فكان لابد من نشوء مخلوقات جديدة لتوليد حيوانات يمكنها أن تحفظ نفسها وتزيد نوعها***"[4].

والإنسان هو آخر الأنواع ففي أول أمره كان قبيح صورة واحد يتقلب ويتغير إلى أن حصل على صورته الحالية هذا مثل من بحوث اليونان فيه كثيرا من أثر النشوء و الارتقاء كما بدل على

---

[1] تشارلس، المصدر السابق،ص11.

[2] المصدر نفسه،ص11.

[3] المصدر نفسه، ص12

[4] المصدر نفسه، ص12.

أن هذا المذهب الذي عاود "لامارك" البحث في سنة 1809 وأتمه داروين سنة 1859 كان لجرثومته من عقول الباحثين متسع منذ ستة قرون قبل الميلاد[1] .

كما نجد تلميحات في أقوال أخوان الصفا لهذا المذهب والمبادئ التي تعتبر الأوليات في مذاهب النشوء عادة مثل الوراثة والانتخاب الطبيعي والانقراض وأول من قالوا أن عالم الحيوان والنبات والجماد واحد يفصل بين بعضها البعض حدود انقلابية دقيقة[2].

إذن فمذهب دراون موغل منذ القدم إذ يرجع تاريخه إلى آلاف السنين حيث يقول مظهر إسماعيل في مقدمة كتابه أصل الأنواع "**وقد نرى أثره في الخرافات الدينية والحضارات القديمة**"[3].

ومن المشوق حقا أن نظرية النشوء، قد كانت نتيجة التطور الفكري الخاص بداروين على فترة على فترة تمتد سبع سنوات (1831- 1838) ففي أثناء هذه الفترة القصيرة من الزمن استطاع عالم الأحياء أن يقلب وجهة نظره في الحياة رأسا على عقب وبالتالي فإنه قد تسبب في إحداث ثورة في المفاهيم، التي قامت بالتغير إلى الأبد[4]. بمعنى أن داروين قد قلب الموازين في عصره خاصة فيما يتعلق بالجانب الديني بالتحديد باعتبار أن نظريته تخالف الأسس الدينية وقضية الخلق فمذهبه يقول أن الأنواع آتية من بعضها البعض.

والإنسان متأصل من أنواع حيوانية فهو متكون من نفس النواميس حيث يقول شميل عن جرأة داروين " **فلم يكون سوى داروين رجل القرن الماضي الأعظم الذي نظر إلى الجهة العلمية فقط ليقرر تكون في الأحياء بالتحول والارتقاء من أصول قليلة لم يتعرض لكيفية نشوءها الأصلي**" وسوى أنصاره هكسلي و بنخر وهكسل الذين وجدوا حلا في هذا المذهب مسندا قويا علميا للعلم المادي والفلسفة المادية[5].

---

[1] تشارلس:المصدر السابق ، ص12.

[2] المصدر نفسه،ص13.

[3] مظهر اسماعيل:ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، دار العصور، القاهرة،1963، ص03 .

[4] تشارلس داروين، المصدر السابق، ص41.

[5] شميل: فلسفة النشوء والإرتقاء، دار مارون عبود، ط1، بيروت، 1983، ص09.

المبحث الثالث: مفهوم العلمانية

أولا/معنى الكلمة

تعددت تعريفات مصطلح العلمانية وذلك باختلاف المرجعية التي تنطلق منها كونها أحيانا فكرة سياسية وتارة قضية فلسفية بامتياز وتارة من ظهور المصطلح في الغرب وبالتحديد أوروبا وفي فرنسا بوجه خاص وتطور ليصبح فكرة سياسية تولدت عن فصل الكنيسة عن الدولة و نتيجة هذا الفصل ترتب على الدولة ألا تمارس أي سلطة زمنية أي الساسة فهذا المعنى مستقلة في شؤونها الزمنية تعالجها في ضوء العقل ولبس بواسطة الدين وهي محايدة تجاه جميع الأديان[1].

إذن في العلمانية إنتاج العقل العلمي في الفلسفة وثمرة من ثمرات العقل والعلم في البحث عن حلول بمعضلات الحياة الإنسانية. لقد نشأت العقلية العلمانية في الغرب وتجسد فعل التحول الفكري في الطلاق بين العلم والدين وإفساح المجال أمام العقل ليقول كلمته في كل شيء[2].

أما بالنسبة للعلمانية من الناحية اللغوية: العلمانية بفتح العين مشتقة من كلمة " علم" بفتح العين وهي مرادفة "عالم" قارن الانجليزية Laicim والفرنسية laicime وهما مشتقان من الكلمة اليونانية AaS لاوس شعب رعاع أي عكس الكهنة وهم النخبة في الماضي من ثمة صارت الكلمة تدل على القضايا الشعبية الدنيوية لعكس الكهنوتية الدينية[3].

ومفهوم العلماني laic وليس العلماني بكسر العين بدل كتعبير لاهوتي على إنسان لاشركة له مع من لهم السلطة الإدارة أو سلطات الأسرار في الكنيسة أي ما لا يدخل في إطار الأكليروس والعلماني بكسر العين هو من يتخذ المعرفة العلمية كما هي ممثلة في العلوم الطبيعية[4].

---

[1] حسين سعد: بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية، (1900م-1318هـ/1964م-1384هـ)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1، بيروت لبنان،1993.ص12.

[2] حسين سعد، المرجع نفسه،ص14.

[3] مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، المرجع السابق،ص344.

[4] ضاهر عادل: أسس الفلسفية العلمانية،دار الساقي، ط2، بيروت لبنان،1998 ص38.

والعلمانية بالانجليزية Secularism وترجمتها الصحيحة باللاتينية أو الدنيوية وهي الدعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة علم Science والمذهب العلمي Sciencism.

إذا فكلمة علمانية لم تشتق من العلم لا في اللغات الأجنبية ولا في اللغة العربية وبالتالي من الخطأ الكبير أن يرد مفهوم العلمانية إلى مفهوم العلم على أنها مشتقة منه[1]. أما في المعجم الوسيط الذي صدر على مجمع اللغة العربية في القاهرة العلمانية نسبة إلى العلم بمعنى العالم وهو بخلاف الديني والكهنوني[2].

والعلمانية في قاموس ليتريه Littré هي غياب مظاهر الدينية من النظم السياسية أنها مفهوم يرتكز على الفصل التام بين المجتمع الديني والمجتمع المعرفي[3] يمكن تحديد مضمون العلمانية بالنقاط الآتية:

- فصل الدين عن الدنيا كمجالين مختلفين فالدنيا جملة أشكال الحياة المجتمعية والثقافية والعلمية، أما الدين فهو علاقة فردية تقوم بين المؤمن والإله
- فصل الدين عن الدولة إن فصل الدين عن الدولة أمر جوهري في العلمانية ومن هنا نفهم معاداة رجال الدين العلمانية

ثانيا/العلمانية لدى بعض المفكرين العرب المعاصرين:

لقد تعددت اتجاهات العلمانية في العالم العربي وقد ظهر هذا المصطلح مع القرن 19 و 20 كوسيلة لتقدم والارتقاء كان لخلاص من جهة نظر عقلاء المجتمع مرتبطا بعزل السلطتين أي فصل السلطة السياسية ومن هنا ظهر إلى الوجود مصطلح العلمانية ومقابلته في اللغة العربية التفرقة والفصل بين السياسة والدين[4].

---

[1] أحمد برقاوي: المرجع السابق، ص388.

[2] المرجع نفسه، ص388.

[3] حسين سعد: المرجع السابق، ص12.

[4] محمد عمارة: نهضتنا الحديثة، دار الرشاد، ط2، القاهرة مصر، 1998ص209.

إن الفهم السائد هو الفهم الذي يعرف العلمانية بأغراضها المعروفة والمعهودة وليس بالأسس الأخيرة التي تقوم أو ينبغي أن تقوم عليها العلمانية بصورة أكثر تحديد أنه فهم يعرف العلمانية بالغرض أو الأغراض التي قامت الحركات العلمانية في الغرب لتحقيقها[1].

إن جذور المصطلح كانت في الغرب الأوروبي بداية ثم انتقلت إلى مفكرين العرب خاصة منهم الليبراليون حيث اتخذوا منها شرطا ضروريا لقيام النهضة حقه وتحقيق التقدم خاصة وأن الدارس لتاريخ أوروبا يرى أن الثورة والنهضة التي حققتها كانت بفضل العلم واستبعاد الدين وتحرير السلطة السياسية من قيود وسيطرة الكنيسة ومن بين هؤلاء نجد الدكتور شبلي شميل إضافة إلى فرح أنطون وسلام موسى وغيرهم" وهكذا كانت المناداة بإقصاء الدين عن حومة المشاغل الاجتماعية والسياسية وبناء المجتمع الحديث على أسس عقلية ودنيوية محضة لا شأن للدين فيها[2].

ولعل من بين الاتجاهات العلمانية التي رفعت الراية العلمانية في بناء نهضة عربية نجد علي عبد الرزاق الذي أثبت أن حكومته الخلافة ليست من الدين في شيء وأن لا نص شرعيا يلزم المسلمين

بأي شكلا من الأشكال الحكومات وان خلافة الشيء هي مسألة زمنية فرضتها حاجة المسلمين العرب لتنظيم أمور دينهم[3].

أما خالد محمد فعبرت حملته العنيفة على الكهانة عن هدف مباشر يقضي بإقصائها بصورة ناخزة وعن الحياة العامة والسياسة منها على وجه الخصوص[4]... ونجد كذلك طه حسين برزت علمانيته بتقريره أن السياسة شيء والدين شيء آخر كما أتت العلمانية عنده بالواسطة أي بقياس الأنظمة السياسية التربوية عن الأوروبيين على قاعدة الوحدة العقل الإنساني إطلاقا[5].

---

[1] ضاهر عادل:المرجع السابق، ص38.

[2] ماجد فخري، المرجع السابق ، ص92.

[3] حسين سعد، المرجع السابق، ص161.

[4] المرجع نفسه،ص161.

[5] المرجع نفسه، ص162.

ونجد كذلك لطفي سعيد فالسيد لم يجد حرجا للحظة واحدة في رسم طريق النهضة على قاعدة العقد الوضعي لا النص الديني[1].

ونجد كذلك اسماعيل مظهر حيث اعتمد على مذهب النشوء والارتقاء إلى جانب شميل لتحرير العقل من الماورائيات ومضى يرسم طريق النهضة ودعوة إلى الثورة العقلية لمواكبة التقدم.

وفي المقابل بعض المفكرين العرب قد اتخذ موقف النفي والرفض ولم يتقبل العلمانية كونها نشأت لظروف أوروبية بحتة حيث يذهب محمد مهدي شمس الدين لسبب بسيط جدا هو أنه لم تكن في الإسلام كنيسة ودولة ولم تكن ثمة مملكة الله ومملكة قيصر ولم يكن ثمة روح طاهرة وجسد مخطئ في الإنسان لم توجد في الإسلام ثنائية تؤدي إلى التنافر[2].

فهم يفهمون من العلمانية أنها فكرة غريبة لا محل لها في الحياة كما أن ظروف أوروبا في قرون الوسطى ليست نفس الظروف التي يعيشها العالم العربي والعلمانية التي جاءت بمختلف سماتها الأساسية استجابة لأوضاع التي ولدتها طبيعة هذه الدولة في الغرب المسيحي وفي ظل الظروف التاريخية معينة[3].

وفي ضل سيطرة الإكليروس ورجال الدين في سياق مواجهتها الدولة الثيوقراطية[4] إذن فالعلمانية وليدة ظروف غربية بامتياز آتت كتحصيل حاصل لفك سلطة الكنيسة عن الأمور السياسية في القرون الوسطى.

ويفهمها محمد يحيى أن دعوة إلى العلمانية بأسرها تقع بحسب تعبيره بالكامل في سياق حركة التغريب والأورية والاستعمار الثقافي[5] كما يوافقه محمد عمارة على أن العلمانية هي فكرة أوروبية نشأت لحل مشكلة أوروبية فرضتها معطيات إرتبطت بالتجمعات الأوروبية في ضل شروط تاريخية

---

[1] حسين سعد:المرجع السابق، ص163.

[2] عادل ضاهر:المرجع السابق ص91.

[3] المرجع نفسه، ص 42.

[4] المرجع نفسه،ص 40.

[5] محمد عمارة: المرجع السابق، ص23.

معينة حيث أنه لا مكان للعلمانية مع الإسلام ولا حاجة للمسلمين إليها إذا كانوا حقا مسلمين يسترشدون بالإسلام[1] .

إذا كانت العلمانية الغربية قد سعت إلى فصل الدين عن الدولة كرد فعل على الحكم الحق الإلهي أنذاك إذن العلمانية لفظ جرى على الآلسن في العصور الوسطى في الأوساط المسيحية كاتجاه يستهدف تقويض سلطة الكنيسة السياسية لتصبح فقط كنيسة الله لأن الدين هناك كان هو الأساس وقاعدة الانتماء وكان سطوة الكنيسة تشمل الأرض والناس والحياة[2]. لأنه في نظره لا دولة دينية في الإسلام لأن مفهومها من مفهوم الدولة الثيوقراطية[3].

ومنهم من اتخذ العلمانية موقف القبول والتبني كما سبق وذكرتهم إلا أن الرافضين للعلمانية كونها أنها فكرة غربية لوضعية أوروبية وبنظر بعض المفكرين إلى العلمانية من زاوية المعايير التي يخضع لها الإنسان في تنظيمه شؤون حياته وأنها يجب أن تكون مستمدة من الدنيا لا من الدين[4].

وفي الأخير ومن خلال ما سبق ذكره في هذا الفصل حيث تطرقت فيه إلى أهم المفاهيم والمصطلحات الأساسية التي اعتمد عليها شبلي شميل في فكره و منظومته وكان واجبا عليا أن أتطرق إلى مفهومها، كان أولها مفهوم النهضة التي هي عبارة عن ذلك التقدم الذي يرافق كل المجالات الفكرية العلمية والاجتماعية والثقافية والسياسية وهي بعث و إحياء للتراث القديم والآداب والفنون كما تناولت النهضة العربية على وجه التحديد وجذور بدايتها وصولا إلى إدراك العرب لواقع تخلفهم و انحطاطهم كما عرفت الداروينية والتي تأسست بدورها على يد البريطاني دارون والذي يقول:" ***إن الأنواع آتية من بعضها البعض أي إثبات الأصل الحيواني للإنسان وباعتبار أن شميل قد تأثر بالداروينية فكان مني إلا أن تناولت مفهوم الداروينية وجذور بدايتها وفي الأخير تطرقت إلى مصطلح العلمانية باعتبار أن شميل ذا اتجاه علماني تغريبي حيث ينادي العلمانية بفصل***

[1] محمد عمارة:المرجع السابق ، ص 23.

[2] المرجع نفسه، ص208.

[3] المرجع نفسه، ص38.

[4] عيسمي شبلي:العلمانية والدولة الدينية، دار الشؤون الثقافية، ط1 ،العاصمة، بغداد، 1986، ص06.

الدين على السياسة واجبا لتحقيق النهضة كما ذكرت بعض المفكرين العرب وبتناولهم للعلمانية فمنهم من آمن لوجوبها ومنهم على العكس من ذلك قد رفضها رفضا قاطعا لكونها غربية دخيلة" .

الفصل الثانـي

المنـهج التطوري في فلسفة شميل

المبحث الأول: الخلفية الفكرية لشبلي شميل (داروين)

المبحث الثاني: فلسفية شميل المادية.

المبحث الثالث: نظرية النشوء والإرتقاء

الفصل الثاني: المنهج التطوري في فلسفة شيمل

لا نستطيع فهم أفكار شبلي شميل والنهضة الذي يدعو إليها إلا بإبراز الجوانب التي تأثر بها شميل في بناء فلسفته وفي هذا الفصل تطرقت في موضوعي إلى المنهج التطوري في فلسفة شميل باعتباره الركيزة الأساسية في فكره وانطلاقا كذلك من الخلفية التي تأثر بها شميل مرور إلى المادية عنده ومضمونها، ووصولا إلى نظريته في النشوء والارتقاء هنا السؤال ما القصد بالتطورية في فكره؟ وعلى أي أساس بنيت المادية عنده ؟ وما مضمون نظرية شؤون الارتقاء؟

المبحث الأول: الخلفية الفكرية لشبلي شيمل

لقد ارتكز فكر شبلي شميل على كل من فلسفة سبنسر وهكسلي وبوخنر وهيكل وعلى أفكار داروين بشكل خاص وهذا ما يتضح لنا في العديد من كتاباته ومؤلفاته حيث جعل من النظرية الداروينية محور أفكاره وفلسفته بشكل عام حيث بنى منظومته الفكرية على نظرية داروين التطورية، كما تجب الإشارة على أنه الأول من دعى إلى الداروينية والمادية في العالم العربي بصفة خاصة، حيث أكد بصحة هذه النظرية ودعا إلى إتباعها والأخذ بها على أنها حقيقة علمية مؤكدة لا مجال للشك فيها، وهذا الموقف منه يبرز لنا مدى جرأة شميل في طرحه، حيث يقول في مقدمه كتابه فلسفة النشوء والارتقاء "**لما قمت أبث هذا المذهب ... لم يكن له أتباع ولا مؤلفات في اللغة العربية بل كأن أنصاره حتى في أوروبا نفسها لا يتجاوزون عدد الأصابع**"[1].

وهو يقرر صراحة أن الإيمان بهذا المذهب لابد له من تغيير الإنسان تغييرا جوهريا بحيث يتحدد كليا كأنه وجد وجودا جديد فتتغير أخلاقه وفلسفته وشرائعه وحكوماته وغير ذلك مما يتعلق بهيئة الاجتماعية[2].

بمعنى أن شميل قد آمن بهذا المذهب الذي يعتبره الكفيل لتغيير الأوضاع التي تعيشها المجتمعات العربية والحل الوحيد الذي يمكن أن يغير حياه الإنسان نحو الأفضل... فتتغير بذلك في

[1] شبلي شميل: فلسفة النشوء والإعتقاد، المصدر السابق، ص06.

[2] رفعت سعيد: ثلاثة لبنانيون في القاهرة شبلي شميل فرح أنطون رفيق جبور،ط1، دار الطليعة للطباعة النشر،بيروت،1973، ص23.

فلسفته وشرائعه ويصلح حاله كما يحرر الإنسان من كومة الخرافات والأوهام التي تعيقه وتزيد من شقائه

حيث أن هذا المذهب يرى أن الأنواع متأصلة بعضها عن بعض ومتسلسلة في ما بينها فالإنسان في هذا المذهب من أصل حيواني وتغير شكله عن غير ملايين حيث يتحول ويتغير من البساطة إلى التعقيد والدقة وكل مرحله تتصل بمرحلة سبقتها في علاقة تسلسل أبدي وملازم حيث يقول:" **والرأي في هذا أن الأجسام الحية لا تتوقف أبدا عن التحول والتغير في نشؤها الخاضع لناموس طبيعي...**"[1].

إذن فكل الموجودات والأجسام الحية قابلة إلى أن تتغير وتتحول بشكل مستمر وأزلي حيث على حد تعبيره " **لم اقتصر فيه على النظر التقريري البسيط من حيث نشوء الأحياء وتسلسلها بعضها عن بعض بل أطلقت نظريته على الطبيعة من جماد ونبات وحيوان من حيث أصلها وتحولها ونسبها بعض عن بعض**" وجميع العناصر المؤلفة للإنسان فكلها منبع واحد وهي الطبيعة وجميع القوى التي تعمل فيه على حكم قوى الطبيعة فهو كالحيوان فيزولوجيا وكالجماد كيماويا والفرق بينه وبينهما فقط بالكمية ولا بالكيفية والصورة لا الماهية والعرض ولا الجوهر فالإنسان يحس والحيوان يحس والإنسان يدرك والحيوان يدرك ونواميس التغذية واحده فيهم... وعناصره كعناصر الجماد تتفاعل وتتركب وتحترق وتولد حرارة والحياة كلها احتراق[2]

فجميع الكائنات الحية وبما فيها الجماد تخضع للتحول وكل الموجودات من أصل واحد في موادها وقواها والإنسان لا يتميز عن غيره من الكائنات الأخرى بصفته مثلا بالكائن العاقل والمدرك" فالعقل أيضا في الحيوان كما أنه متفاوت جدا في فروع الإنسان فإن كثيرا من الحيوان يعيش في جموع و يتساعد فيما بينه حيث اتضح أن الإنسان بدوره يتصل اتصالا شديدا بالأنواع الحيوانية وإذا كان بينهما فاصل سيكون فقط للأسباب طبيعيه فقط فكل القوى الموجودة في الإنسان هي كذلك نفسها بالنسبة للحيوان.

[1] شبلي شميل: فلسفة النشوء والإرتقاء، المصدر السابق ص01.

[2] المصدر نفسه،ص01.

فالفرق بينهما عرضي فقط وليس جوهريا[1] إذ عند تقدم العلم الطبيعي اتضح أن الإنسان والحيوان والجماد في جوهرها واحد فالفرق نسبي فقط فلما ترعرع العلم الطبيعي واكتمل سقطت هذه الحواجز بين الكائنات في الطبيعة واتضح حينئذ أنها جميعا من أصل واحد مشترك في موادها وقواها وأنها جميعها متحولات بعضها لبعض[2].

إذن لا يفرق بين الإنسان والحيوان جميعا المتحولات بعضها لبعض أن إذن شميل لا يفرق بين الإنسان والحيوان وجماد داروينيا فكلها تنتمي من أصل واحد في مكوناتها وموادها لا يوجد اختلاف جوهري أو فاصل بينهما والفواصل الطبيعية والشيء الذي يجب الاهتمام به والتركيز عليه أن شميل تمسك بالنظرية داروين لا لمجرد الدفاع.عن موقف صحيح من الناحية العلمية وإنما سبيلا للدفاع عن التقدم بشكل عام يدافع عن فكرة التطور في ذاتها وتقدم في سرد نسق قصة تطور الكون وآفاق مستقبل تطوره[3].

مما يتضح أن شميل قد أقر أن كل ما في الكون خاضع لتحول والتبدل مبينا أن هذا كل المشهود مترابط نظريا لا ينفك في كل صورة وأفعاله سواء في الطبيعة الصامتة أو في الحيوان الأعم أو في الإنسان الناطق[4].

ويقول شميل في هذا المذهب:" ***وهذا المذهب بسيط جدا بنفسه والعجيب في أن الطبيعة تولد أشياء عظيمة لعوامل تكاد لعوامل بالنظر إلينا ضعيفة وغير محسوسة بتجمع قواها شيئا فشيئا على ممر الدهور والأدوار الجيولوجية الطويلة جدا ...***" [5] حيث أن ظهور نوع جديد من منظور هذا المذهب يتطلب ملايين السنين كما أنه يخضع الجديد من العوامل في تطوره حيث يتحول من البساطة إلى التعقيد" ***كما أن الطبيعة كميدان حرب يدافع فيها كل عن نفسه والقوي فيها يقتل***

[1] شبلي شميل:المصدر السابق، ص20.

[2] شبلي شميل:آراء دكتور شبلي شميل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، د.ت،ص13.

[3] رفعت سعيد: المرجع السابق، ص23.

[4] أحمد برقاوي: المرجع السابق، ص172.

[5] شبلي شميل: فلسفة النشوء، المصدر السابق، ص98.

الضعيف بدوره يؤلف نوعا جديدا كما أنها لا تبقى على حالها وانما تتجدد وتتبدل باستمرار إذن هي لا تستقر أبدا على حال واحد أبدا" [1].

لقد قام هذا المذهب على أساس إنجازات داروين التطورية ونظريته في النشوء والارتقاء والداروينية هي الانتقال من النشوء والتطور في العالم الحي إلى اعتبار النشوء والتطور قانونا عاما بكل أشكال الحياة والفكر والمجتمع وهكذا تتحول الداروينية إلى فلسفة والفلسفة إلى منهج في التفكير [2] إذن ففكر شميل قائم على أساس هذه النظرية.

وأقوى حجج خصوم هذه النظرية يقولون أن للإنسان عضلة طويلة قابضة للإبهام لا توجد عند القرد وسائر القوارض وقد جعلوا من هذه الحجة كافية لجعله منفصلا عن سائر الكائنات[3]. إن الغاية التي يريد شميل بلوغها هو أن يؤسس نظرية فلسفية في كل ما هو موجود في الطبيعة بكل تجلياتها سواء الجامدة والحية ونقلها من الحقل البيولوجي إلى الفلسفي[4].

كما نجد الإشارة أن شبلي شميل أن الفكرة التطور لم تكن فكرة اوروبية محضة، إذ لا ينكر أنه استقى معظم أفكاره ونظريته من داروين بل استند إلى الماديين العرب من بينهم أبي علاء المعري... ففي كتابات شميل عن فكرة التطور نجد التأثر الواضع به ومن ذلك يتضح أن شميل لم يكن مجرد ناقل أو مترجم بل كان صاحب فكرة متميزة إلى حد ما[5].

يقول شميل في مذهب دارون بسيط جدا وبقدر كل إنسان أن يدركه إذا نظر إلى الأشياء كما تعرض له وتأملها بعين العقل التي لا يشوبها كدورة سبق الاقتناع وإنا نعجب من أولئك الذين يشقون حجب الغيب بقوة عقلهم ويدركون ما وراءها من الأسرار كيف أنهم لا يقدرون على إدراك ما هو أمامهم وواقع تحت حواسهم كما هو حقيقة[6].

---

[1] شبلي شميل: فلسفة النشوء المصدر السابق، ص96.

[2] أحمد برقاوي، المرجع السابق، ، ص173-174.

[3] شبلي شميل: فلسفة النشوء،المصدر السابق، ص47.

[4] أحمد برقاوي، المرجع السابق، ص172.

[5] رفعت سعيد، مرجع سابق، ص25-26.

[6] شيلي شميل،الحقيقة ،مؤسسة هنداوي سي أس سي، د.ط، د.ت،ص39.

كما أن هذا المذهب ينقسم حسب تقسيم شبلي شميل إلى أربعة مسائل أساسية حيث قسمه إلى أربعة أولها تنازع البقاء وثانيها تكون التباينات وثالثها الوراثة وآخرها والانتخاب الطبيعي[1]. وهذه العوامل إذ اجتمعت وفعلت معا فنتيجتها التي هي استمرار تحويل الإحياء في الطبيعة تكون كأنها ذاتية[2].

إن كل ما في الكون من منظور شبلي شميل خاضع للتحول والتغير وفقا لناموس طبيعي سواء كان إنسانا او حيوانا أو جماد كما يقول أيضا " **لقد كان الاعتقاد أن الأنواع خلق خصوصي كل نوعا مخلوق وحده إلا أن الطبيعيين رأوا في الأحياء أشياء كثيرة لا تتفق مع العقول قابلية كل فرد بل كل نوع للتغير تبعا لنواميس حيوية لا فرضية كتغيير الجماد تبعا لنواميس طبيعية...**"[3]

بمعنى أن شميل هنا لا يؤمن بقضية الخلق وأن كل نوعا من الأنواع له خصوصية لموادها أو شكلها ويقر بشيء واحد ولا بشكل في حقيقة هي أن الأنواع واحدة أصلها ونشؤها وتحولها وتغيرها.

فالأنواع آتية من نفس المواد وخاضعة لنفس النواميس، لقد ساد قديما أن كل نوعا من الأنواع له خصائص دون غيره عن الأنواع الأخرى لكن هذا الاعتقاد لا أساس له في مذهب فكل الأنواع من أصل واحد فالإنسان بيولوجيا مثل الحيوان وكيمياويا كالجماد "***إن الإنسان كالحيوان يتكون على نفس النواميس التي تكون بموجبها عالم الإحياء والأنثروبولوجيين بعد تشريح أعضائه ومراقبة قواه العاقلة ومقابلتها بالحيوانات الأخرى الأقرب إليه لم يروا أبدا من إثبات حيوانية أي إثبات الأصل الحيواني له وقد اجتهد خصوم التسلسل كثيرا لكي يقيموا بينه وبين الحيوان فاصلا تشريحيا يجعله قائما بنفسه لا صلة بينه وبين القرد فلم ينجحوا***"[4].

كما أن شميل قد وضع مقارنات عديدة بين الإنسان وسائر الحيوانات حيث أنهم بالرغم من اختلافها خارجيا إلا أنها على نفس النواميس والمواد نفسها داخليا حيث يقول (**ولا يخفي ما بين**

[1] شبلي شميل: فلسفة النشوء، المصدر السابق، ص98.

[2] المصدر نفسه، ص98.

[3] شبلي شميل:الحقيقة، المصدر السابق، ص47.

[4] المصدر نفسه، ص47.

أيدي الحيوانات الليونة من اختلاف في الشكل الظاهر وأما في الباطن فهي متكونة على قياس واحد ومتفقة في عدد العظام التي تكونها وفي وضعها كذلك)[1].

كما يدافع شميل عن هذا المذهب ويصد عنه خصومها كونه في نظره حقيقة علمية مثبتة كما ينفي الخلق الخصوصي للإنسان كونه متميزا عن غيره من الإحياء مبينا أن كل ما هو موجود متغير غير مستقر على حالة واحدة.

وتكون هذا الأخير على مقتضى نواميس الطبيعة " **لو كانت الأنواع نتيجة خلق خصوصي لما اقتضى أن يكون فيها شيئا من الأعضاء المسماة أثرية أو لم يكن من الواجب أن كل نوع يتضمن فيه وفي جرثومته كل الأعضاء اللازمة لا أكثر ولا أقل وإما فما معنى الخلق على هذه الصورة وأين الحكمة وما هي الغاية...**"[2].

وقد دخل إلى ميدان ساهرا سيفه معلنا آرائه بجرأة ومعلنا في نفس الوقت أنه غير عابئ بما سيقوله الناس عنه " ***لست أخشى تخطئة الناس لي إذا كنت إذا كنت أعرفني مصيبا ولا يسرني تصويبهم لي إذا كنت أعرفني مخطئا...***"[3].

لقد دافع عن دارون على أفكاره وعن نظريته الداروينية في العالم العربي فهو أول من تطرق إلى أصل أنواع بداية منه أصدر عدة مقالات لبخنر حول نظرية داروين ومضمونها ونشر في المقتطف عدة مقالات حول الداروينية حيث أن هذه النظرية كافية لتغيير حياة الإنسان العربي إنها حقيقة قد آمن بها شميل وفي مقدم ذلك تغير نظرة الإنسان إلى ذاته. فقط أنزلته نظرية التطور من ملكوته الموهوم الذي أوهمه بأنه خلق الله المختار وأن الأرض مركز الكون وأنها لذلك أصبحت بمثابة الإنسان الذي صوره الله على غرار ذاته[4].

---

[1] شبلي شميل: الحقيقة، المرجع السابق،ص48.

[2] شميل: فلسفة النشوء، المصدر السابق، ص288.

[3] رفعت سعيد: مرجع سابق، ص21.

[4] حسين سعد: المرجع السابق، ص55.

المبحث الثاني: الفلسفة المادية عند شبلي شميل

يعتبر شميل من طليعة المفكرين العرب في الفكر العلمي بالتحديد فلسفته المادية، حيث احتلت مكانا هاما، بل لعله أول دعاة ماديه في الفكر العربي الحديث لكن ماديته كانت متأثرة إلى حد كبير بالمدرسة الألمانية المادية التي نشأت عقبه الثورة 1848 وهي ما يمكن أن نسميه مدرسة المادية الفجة algarMeterielism ذلك أنها تدافع عن مادية الكون[1].

لقد جعل شميل كل ما في أصله مادة أي أن الأشياء الموجودة في الكون كان في أصله مادة أي أن الأشياء الموجودة في الكون ترجح إلى أمرين المادة والقوة وهي موجودة منذ الأزل وستنفي للأبد في حاله تحول وحركة دائمة ويستدعي وجود المادة وجود القوة حيث أنهما لا تنفصلان عن بعضهما بعضا وعلى حد تعبيره لا حاجة إلى أن نعرفك أن العلم قد توصل في الأمور الطبيعية إلى هذه النتيجة الكبرى وهي أن القوة والمادة لا تنفصلان البتة، ولا أظنك تستطيع أن تعرفنا بمادة مجردة عن كل قوة أو تطمح أن تبين لنا قوة أو حركة مجردة عن كل ماده بالقوة لا تعرف إلا بالمادة والمادة لا تعرف إلا بالقوة، فلا ندرك الواحدة بدون الأخرى[2].

فجميع الأشياء تتكون من المادة بحركة عفوية وجدت منذ الأزل وستبقى إلى الأبد أي المعادن والتباينات والحيوان والإنسان يكون في مرحلة من المراحل أكثر تميزا بعضها عن بعض وأكثر تعقد منها دون انفصال[3].

كما يرفض وجوده قوة مستقلة عن المادة فالقوة لا تكون حركة بدون شيء متحرك[4] ويشير أيضا على أن النفس كذلك هي من خصائص المادة أيضا حيث يقول:" ***أن النفس ليست سوى خاصة من خصائص المادة أو عملا من أعمالها وبالحصر من أعمال الدماغ***" إذا حركت النفس ذراعي على فرض أن يكون هناك مانع يمنع ذلك ثقلا وحمل ثقلا كبيرا فلا تعود تقدر على تحريكه

[1] رفعت سعيد: المرجع السابق، ص28.

[2] شميل : الحقيقة، المرجع السابق، ص14.

[3] شميل : فلسفة النشوء المصدر السابق، ص297.

[4] رفعت سعيد، المرجع السابق، ص30.

فيتعطل عملها إذا بسبب مادي، ولو كانت النفس روحا لا النسبية بينها وبين المادة لما كان يقتضي أن يكون كفلك لأن الروح لا ينبغي لها أن تجد صعوبة في تحريك العالم أعظم منها في تحريك العالم أعظم منها تحريك ذرة منه فمثل هذا الروح إذا وهم[1] .

إذن فشميل يفر على أن النفوس هي الأخرى من عمل المادة ولا غير سواها كما أن الروح مجرد وهم بالنسبة له ويقول أيضا كذلك القول القول بقوة بلا مادة فارغ ولا أساس له وإذا كان من المقرر أن القوه لا تقدر أن تظهر إلا بالمادة تكون القوة إذا سوى الصفة المتصلة بالمادة فلا تكون القوة إذن سوى الصفة المتصلة بالمادة وكل صفات كامنة فيها جوهريا[2].

لقد آمن شبلي شميل بالفلسفة المادية بل القول بكل اطمئنان أن شبلي شميل أراد من خلال الدفاع عن الفلسفة المادية التي هي فلسفة علمية إقتلاع التفكير العامي من جذوره اعتقادا منه أن التفكير ما قبل العلمي سبب رئيسي من أسباب تخلف الأمة[3].

بمعنى أن لشميل هدف من تبنى المادية يحاول من خلالها التخلص من بقايا الخرافات والجهل التي سادت في العالم العربي ويحاول اقتلاعها من رؤوس العامة لتحقيق التقدم وركب الحضارة، ويقول أيضا "***أن الطبيعة ليس فيها شيء ثابت ثبوتا مطلقا بل كل شيء فيها في حال المصير أي حال التغيير***" [4].

كذلك دعى شميل فيها إلى فكرة وحدة الطبيعة Monism ولا شك أنه قد تأثر في ذلك بهيجل الذي كان عضو بارزا في Monists league التي تأسست في نهاية القرن الثامن عشر لتدافع عن الفلسفة المادية في مواجهة للكنيسة والفلاسفة المثاليين[5]. ويشرح شميل فكرته عن وحدة الطبيعة فيقول أن الموحد في الطبيعة لا يسلم بشيء غريب عنها فاعل فيها أو مفعول بل يعتبر أن

[1] شميل: فلسفة، النشوء، المصدرالسابق،ص234.

[2] شميل: الحقيقة،المصدر السابق، ص14.

[3] أحمد برقاوي: المرجع السابق، ص174.

[4] رفعت سعيد، المرجع السابق، ص28.

[5] المرجع نفسه، ص29.

كل الحوادث التي تحدث منها وبها وإليها متحولة بعضها عن بعض وراجعة بعضها إلى بعض لا تستقر على حال ولا تثبت على صورة...[1]

ومن هنا يتضح لنا أن شميل ينطلق من فلسفة من المادة أي أن كل ما وجد في هذا الكون هو تحولات المادة. فالعالم هو تحول المادة وتحول قواها فيه ومعرفة أنها شيء واحد لا تهدأ له حركه آلفة في الجماد وانتخاب في النبات وإدراك في الحيوان وإرادة في الإنسان على اختلاط آفاقها[2].

إذن فشميل يقول على أن العالم وما يوجد فيه بالتدرج من التباينات والحيوان ووصولا إلى الإنسان هو فقط تحولات المادة و فقط العالم كله. حركة جماد وحيوان وإنسان و لأن العالم مادة والمادة وفقط حركة جمادا وحيوانا وإنسانا ولأن العامل مادة والمادة لا وجود لها بغير حركة أو أنها أي الحركة شكل وجود المادة فالحركة السمة الجوهرية للوجوه. هنا نحصل على أحكام شميلية متنوعة الإنسان مادة والإنسان حركة والإرادة حركة فالإنسان وحدة المادة والحرك[3].

إذن فإن شميل مادي النزعة وقد دافع عن فلسفة المادية حيث اتخذها لوصفها منهجا في التفكير تؤسس لفهم المجتمع انطلاقا من مفاهيم النشوء والارتقاء وصراع البقاء والبقاء للأصلح وكل ما في الحياة متحول[4].

إذن فهو يناقض الحقائق التي ترى فهو يؤمن فقط بالملموس أو بالأحرى يؤمن فقط بالعلم الطبيعي، إذن على اختلاف أشكال الحادة هي واحدة في الجوهر وإن اختلفت في المظهر في جسم الكون متغيرة فيه لحفظ الكل كما تتغير مراكزها في جسم الجماد وفي جسم الحي[5].

---

[1] رفعت سعيد: المرجع السابق، ص30.

[2] أحمد برقاوي: المرجع السابق، ص175.

[3] أحمد برقاوي:المرجع نفسه ، ص175.

[4] المرجع نفسه، ص174.

[5] شبلي شميل: ، فلسفة النشوء، المصدر السابق ص70.

وكما شميل وصل إلى نتيجة هامة في قول بعضهم بوجود قوة مبدعة للعالم هو أنه لا يستندون في قولهم إلى شيء[1] بلغة أخرى نحن أمام أولوية المادة على الوعي وكل ما في الكون هو تحولات في المادة وهذا سمي بالماركسية المادية الساذجة[2].

كما يمهد شميل لتبسيط فلسفته المادية بعوض المراحل التي سبقت قيام الفلسفة في العصر الحديث والعقبات التي تجاوزتها بدون أن يتحرر العقل من عنق الخرافات والمعتقدات الدينية التي لا طائل ولا فائدة ترجى منها وآثرها في تخلف الشعوب[3]. كما أن المادة كالإحياء تنشأ وتنمو وتتطور وتموت أيضا وليس بينهما اختلاف لكن يشمل المادة إلى مبدأ هو الأثير[4].

ومن خلال هذا فإن شميل يؤكد أن الأشياء في أصلها مادة ولعل وجود المادة عنده يستدعي وجود القوة، وقد احتلت المادية جزءا كبيرا في أفكاره حيث تنتقل الأشياء والموجودات من حال إلى حال وهذا ما يعرف بالتطور الذي يعود بدوره إلى القوة التي لا توجد في غير المادة حيث يقول بهذا الصدر إن القول بقوة بلا مادة لا وجود له ومن المقرر أن الحياة دائمة الوجود الوجود لا تتغير ويقتضي كونها قديمة[5].

ويتميز هذا تطور إلى مالا نهاية دون انفصال وقد عرض شميل فلسفته المادية من خلال النهضة التي قامت بأوروبا وذلك بالفصل التام عن تلك الخرافات والمعتقدات الزائفة التي كانت تسيطر على العقل الإنساني وتقيده عن التفكير الصحيح الذي يعرقله في سبيل التقدم الحضاري ويزيد الأمة إلا تخلفا وانحطاطا" ولم يكون بوسع الإنسان أن يتحرر من ربقة تلك المبادئ الفاسدة والمناهج التربوية المرتبطة بها قبل بزوغ العصور الحديثة[6].

---

[1] رفعت سعيد: المرجع السابق،ص31.

[2] أحمد برقاوي: المرجع السابق، ص174.

[3] ماجد فخري: المرجع السابق، ص71.

[4] المرجع نفسه، ص76.

[5] شبلي شميل: المصدر السابق، الحقيقة، ص16.

[6] ماجد فخري:المرجع السابق، ص72.

والفلسفة المادية هو شعار شميل في تحقيق التقدم في العالم العربي فالآن صار شميل بمقدوره وباستطاعته دحض عبر الداروينية كل أشكال الفكر الميتافيزيقي فصارت مهمته أن يقف أمام الظاهرة ليسأل سؤالا واحد كيف نشأت وتطورت؟[1].

فالكون واحد وهو مادي الوجود واحد وحدة الوجود وحدة مادية وليست مثالية والوجود يساوي الكون عند الشميل[2]. حتى أن القول بالمذهب الداروينى يستدعي القول بمادة الكون ولما كان القول بمذهب النشوء يستلزم القول بمادية الكون لم يكن تقريره من السهل لدى أصحاب المبدأ الحيوي لصعوبة تأييد التولد الذاتي بالوسائل التي لنا اليوم[3].

ولا حل ذلك عرف العلماء القوه بأنها خاصية من خصائص المادة هي الحركة أو هي حالة من حالات المادة[4]. كما يقول أيضا لا يستطيع العقل أن يتصور المادة بلا قوة فإذا تصورنا مادة أولية مهما كانت فلابد أن تكون دقائقها تحت فعل الجذب والدفع وإلا فإنها تتلاشى[5].

كما يفرض شميل الوجود المطلق على حد تعبيره يقول ولو وضع القياس على الوجود المطلق لكان الأولى أن تعتبر المادة قبل معناها في العقل لأنها اسبق منه من حيث الوجود النسبي فأسبقية المعنى عن اللفظ كأسبقية المادة على المعنى نسبيا وأما إذا اعتبرت الحقيقة، فالمادة لا تنفصل عن معناها ولا يقصد بالمعنى ما ندركه فقط فالأعمى لا يبصر النور ولا يعرف له معنى في عقله ومع ذلك فمادة النور متصلة بمعناه[6]. بمعنى أن شميل يؤمن بوجود المادة أولا ولولاها لما تشكل تشكل في العقل معاني لها.

---

[1] أحمد برقاوي :المرجع السابق، ص174.

[2] المرجع نفسه، ص175.

[3] شبلي شميل: فلسفة النشوء، المصدر السابق، ص53.

[4] رفعت سعيد: المرجع السابق، ص30.

[5] المرجع نفسه.

[6] شبلي شميل، الحقيقة، المصدر السابق،ص17.

أولا/ في الوجود المعنوي والوجود المادي:

كما سبق وأشرنا على أنه لا وجود للمادة بلا قوة ولا وجود للقوة بلا مادة فالقوة إذن هنا من خصائص وصفات المادة " إذ يستحيل إدراك القوة بلا مادة كما يستحيل البصر بلا عين أو الفكر بلا دماغ أو القول بقوة مفرزة بلا غدة أو بقوة انقباضية بلا ليفة عضلية فلا شيء أمكنه في زمان من الأزمنة أن يدلنا على وجود قوة سوى التغيرات التي ندركها بواسطة حواسنا[1].

كما يرفض شميل الوجود المطلق على حد تعبيره يقول: ولوضع القياس على الوجود المطلق لكان الأولى أن تعتبر المادة قبل معناها فأسبقية المعنى عن اللفظ كأسبقية المادة عن المعنى نسبيا،وأما إذا اعتبرت الحقيقة فالمادة لا تنفصل عن معناها ولا يقصد بالمعنى ما ندركه فقط فالأعمى لا بصر النور ولا يعرف له معنى في عقله ومع ذلك فمادة النور متصلة بمعناه،بمعنى أن شميل يقر بوجود المادة أولا حلول وجود المادة لما تشكل في العقل معاني لها.

كما يجدر بنا الإشارة أيضا على شبلي شميل تكلم عن الوجود المعنوي والوجود المادي حيث يقول:"***أما مثل المعاني والألفاظ الذي ضربته للوجود المعنوي السابق والوجود المادي المسبوق بقول غير سديد وفيه من السفسطة ما كان يغنيك تدبيره على إسهاب الشرح عليه لأن أسبقية المعنى على اللفظ نسبية لا يخفى عليك وأنت تريد بتقديم الوجود المعنوي أسبقية مطلقة كما يؤكد على أن الموجود في العقل ما هو إلا انعكاس للمادة حيث يقول:" أن المعنى العقلي ليس إلا تأثير الصورة في المرآة فالنور لولا العين لم يكن له في عقل الإنسان معنى ولم يفتكر أن يضع له علامة أو لفظه تدل عليه***"[2].

[1] شبلي شميل:الحقيقة،المصدر السابق ، ص17.

[2] نفسه ، ص15.

المبحث الثالث: نظرية النشوء والارتقاء

لعل من أهم مؤلفات الدكتور والطبيب شبلي شميل هو مؤلفة فلسفة النشوء والارتقاء إلى جانب الداروينية في فكره والمادية في فلسفته وهو ينقسم قسمين طبيعي و فلسفي بسط مؤلفه في القسم الطبيعي مذهب دارون وقد توسع فيه من التولد الذاتي حتى الإنسان وفي القسم الفلسفي ما تعلق بهذا المعنى من آراء أهل النحل والفلاسفة المتقدمين والمتأخرين[1].

ويعرف بأنه "المذهب الذي لا يبحث إلا في تلك القوانين الثابتة الجزئية التي تتحكم في وجود الأفراد وتثبت تسلسل بعضها من بعض متحولة من حلقات النشوء الطبيعي[2].

أما الارتقاء فيأتي بمعنى تطور الذي هو المبدأ الطبيعي الذي تتخلى فيه خطى الكائنات من جماد وهي وحي لتصل الفاني أو الهدف[3]. أما الارتقاء فيأتي بمعنى التطور الذي هو مبدأ موجود وهو من علامات التدرج والتحول وكل ما في الوجود وبما فيه الإنسان خاضع له في نشوءه وارتقائه وارتباط الأنواع بعضها عن بعض ويقول في ثبوت الارتقاء ***تقول والارتقاء في مذهب دارون أمر مقرر بشهادة البالينتولوجين والطبيعيين المعول عليهم وهو نتيجة لأزمة الانتخاب الطبيعي*** "[4].

حتى أنا رسالته التي حصل عليها في شهادة الطب والتي كانت من كلية البروستانت، كانت حول تأثر الإنسان والحيوان بالمناخ والطبيعة والبيئة ومن ثمة أبدا إعجابه بنظرية النشوء لتشارلس دارون[5].

ومفاد هي النظرية أن كل الأحياء متصلة ببعضها البعض من حيث أصلها وتحولها ونسبتها بعضها إلى بعض مبينا أن هذا الكل المشهود هو مترابط ترابطا لا ينفك في كل صورة وأفعاله سواه في الطبيعة الصامتة أو في الأحياء النامية أو في الحيوان الأعجم أو في الإنسان الناطق موضحا

[1] شميل: فلسفة النشوء، المصدر السابق، ص1.

[2] حسين سعد: المرجع السابق، ص56.

[3] المرجع نفسه،ص56.

[4] شبلي شميل، الحقيقة، المصدر السابق، ص50.

[5] رفعت سعيد، المرجع السابق،ص21

أن القوى الفاصلة في كل ذلك كالمواد الداخلة فيه من أصل طبيعي واحد متحول إلى ما لا حد له بحيث أن الأفعال الظاهرة في أعلى سلم التحول كما نشاهدها ليست إلا تلك الأفعال البسطة كامنة في أدنى هذا السلم متدرجة فيه[1].

وملخص هذه النظرية يدور حول خمسة عوامل سبق وإن ذكرتها والتي تؤدي إلى نشوء الأنواع[2]

1- الوراثة:ومحصلها أن الشبيه يأتي بمشابه.
2- التحول: أفراد كل نوع تتشابه ولا تتماثل.
3- التوالد: إن ما يولد من التباينات والحيوان أكثر مما يقدر له البقاء.
4- التناحر على البقاء.
5- البقاء للأصلح.

كما أن الأحوال الخارجية تساهم في التأثير على الأنواع سواء كالإقليم والتربة والهواء والمياه وغيرها إلا أنه يجعلها دون الانتخاب الطبيعي[3]. لذا فإن الأنواع متغيرة وتتبدل من حال إلى حال دون توقف وبشكل مستمر وذلك تحت قانون تنازع البقاء بين الصور الأقرب إلى بعضها في الأنواع والتباينات والاختلافات بين الأنواع وصولا إلى الانتخاب الطبيعي الذي بموجبه ظهور أنواع جديدة متميزة.

كما أن الانتخاب الطبيعي لا يؤدي إلى الارتقاء دائما وإن أدى إليه غالبا على أن الارتقاء كثيرا أو قليلا في العالم العضوي لا حقيقة له واضحة[4]. وقد ضرب دارون مثلا لإدراك الرابط الذي

[1] شميل: فلسفة النشوء،المصدر السابق، ص297.

[2] حسين سعد، المرجع السابق، ص57.

[3] شميل : فلسفة النشوء،المصدر السابق، ص115.

[4] المصدر نفسه، ص117.

يربط الأحياء بعضها ببعض قال:" ***أنها شجرة ذات أغصان خضراء متفرقة هي الأنواع الباقية وأغصان يابسة هي الأنواع المنقرضة***"[1].

وهذه خلاصة المذهب القائم على نظرية دارون التطورية أو ما يسمى بنظرية النشوء والارتقاء وأخذ شميل على عاتقه أن يسلم بهذا الارتقاء لأنه واضح حسبه في كثير من الحوادث حيث يقول:" ***أدلة الارتقاء كثيرة جدا نذكر منها تقسيم الأعمال في الأحياء فكلما ارتقى الحي تقسمت الأعمال وتميزت الأعضاء القائمة بها وهو واضح***[2]".

كما يشير شميل إلى أمر هام حيث يدعى بعضهم أن أصل الإنسان هو قرد والحقيقة أنه لا يقول أن القرد أصل الإنسان وأن الحمار أصل الفرس بل الإنسان والقرد والفرس وسائر الأحياء في الطبيعة قاطبة من أصل واحد في نشوءها من مواد طبيعية وبمجرد قواها تغيرت ... وقد تغيرت اتبعا لناموس المطابقة حسب بلغت مبلغها الآن بالانتخاب الطبيعي[3].

كما يرى أن الأشياء خاضعة للتحول من حاله إلى أخرى وقد أطلق على هذه النظرية نظرية النشوء والارتقاء حيث تنتقل من مرحلة إلى مرحلة أكثر تعقيدا من المرحلة التي سبقتها فتكثر صفاتها كما تتبدل خصائصها وكل المراحل التي تمر بها الأنواع ترتبط بعضها بعض في علاقة تسلسل وارتباطها دون انفصال وبشكل أزلي ويصور لنا شميل الأشياء في تدرجها نبات حيوان إنسان جماد والإنسان أرقى ما يتوصل إليه التدرج لقد آمن شميل بهذه النظرية كونها سبيلا لزعزعة تلك الأفكار القديمة والقضاء على سلطتها على العقل لتحريره من آثار الماضي.

ولم تكن نظريه النشوء والارتقاء سوى سبيلا لأحداث حركة فكرية من خلال تطرق شميل إلى أصل الكون وفلسفته المادية وتطور المجتمعات والقوانين التي تحكمها... والإطاحة بالمستبدين وهنا يتحول العلم إلى سياسة بحتة[4].

---

[1] شميل: فلسفة النشوء، المصدر السابق، ص118.

[2] شبلي شميل آراء الدكتور شبلي شميل ، مؤسسة هنداوي، د.ط، د.س، ص13.

[3] شميل فلسفة النشوء والارتقاء،المصدر السابق، ص296.

[4] رفعت سعيد، المرجع السابق، ص23-25.

إذن فشميل يريد بتبنيه لهذه النظرية تغيير الموازين والقضاء على المستبدين كشف من خلالها نزعته الفكرية وما يؤمن به حقا وأن يحقق نهضة من خلال الداروينية ومحاولة إدخالها إلى العالم العربي، كما أنه يطلق هذه النظرية على المجتمعات فهي الأخرى خاضعة لهذا التطور والقائلة بالتدرج وضرورته من الانتقال من حالة إلى حالة أخرى ويمضي شميل في المقارنة جسم الإنساني الحي أو الجسم الحي بالمجتمع...[1].

وهي أن الأجسام الحية ميالة إلى التغيير على أوجه مختلفة وإلى حد محدود أي أنها تنحرف عن الأصل الصادرة عنه ببعض صفات خصوصية... وهذا على رأي دارون أصل الأنواع فإنها حاصلة عن انحصار بعض الصفات في بعض الأفراد وانتقالها في النسل بالوراثة... فالتباينات على رأيه أنواع في حالة النشأة والأنواع التباينات واضحة[2].

فالإحياء تتغير نتيجة تكوين التباينات وله أهميه كبيرة في تحسين الأنواع كما أن التباينات أصل الأنواع الجديدة وتنقل بالوراثة وتنتقل الصفات المميزة للأنواع ووصولا في الأخير إلى الانتخاب الطبيعي (التحسين الطبيعي) ولا يكون إلا إذا كأن الاختلافات الحاصلة في الفرد معني في تنازع البقاء، فإن الاختلافات الفردية تكون ضرورة على إحدى ثلاث حالات: أما نافعة للمنافع أو مضرة له أو لا نافعة ولا مضرة... وتكون النتيجة أما ملاشاة الفرد أو الصفة[3].

فإذا كان نافعا هذا الاختلاف فإنه يكون مميز عن باقي أفراده وخصومه في صراع البقاء وهذا الأمر لا يحصل إلا بعد أجيال لخلق نوعا جديد يتطلب آلاف السنين لذا فإن الانتخاب الطبيعي أساس المذهب الداروينى كما أن الإنسان قد بلغ الغاية القصوى في التحسين الصناعي حيث يستطيع أن يجمع في أصل واحده فقط أقل الاختلافات الفردية وذلك بكون بواسطة الإنتخاب الصناعي كما ميل الصور إلى التغيير والتبدل وذلك بفعل الطبيعة[4].

---

[1] ماجد فخري : المرجع السابق، ص 106.

[2] شميل : النشوء والارتقاء، المصدر السابق،ص105-106.

[3] المصدر نفسه، ص110.

[4] المصدر نفسه، ص110-111.

وتحت قانون الصراع على البقاء تولد أنواعا وتضمحل أنواع و أول هذه العوامل لنظرية النشوء والارتقاء هي تنازع البقاء وهو ضروري وهذا ما يوجد في بقاء البعض وفناء البعض ومن المعلوم أن تنازع البقاء يكون أشد كلما زاد تقارب الصور بعضها إلى بعض ونتيجة هذا النازع سرعه انقراض الصور المتوسطة، فإن نوعا واحد إذا ولد نباتات مختلفة فالتنازع بينه وبين نباتاته يكون أشد في الأقرب إليه منه واضعف في الأبعد عنه[1].

كما يقول شميل: "***ولا يخفى أن الفائز من الأفراد أو الأنواع أو غيرها على ما سواه في معمعة هذا التنازع للبقاء وهو ما تميز بينها بصفات جسدية أو عقلية تحقق له هذا الفوز، وهذه الصفات كثيرة جدا، فقد تكون الأقدام أو القوة، وكبر القد أو صغره أوسط الهجوم والدفاع أو اللون أو الجمال أو السرعة أو الصبر على الجوع*** ..."[2].

ولا يبلغ التنازع معظمه إلا بين الأنواع الأقرب بعضها إلى بعض لاشتراكها في المتنازع عليه ويقل كلما ابتعدت بعضها عن بعض حتى يفقد وكلما كانت الصورة قديمة أضعف عن مقاومة في خصومها الأحداث في التنازع صور أنسب للتغيرات الحاصلة في الأحوال الحياة تجعلها أقوى[3] وهنا يظهر لنا أن كل نوع حي له منازع له سواء في صفاته أو تكوينه وبعد تنازع البقاء تتكون التباينات.

إذن فإن نظرية النشوء والارتقاء كما فهمها شميل لدارون تقوم على التحول والتغير الأزلي للأنواع الحية عبر قانون تنازع البقاء والتباينات بين أفراد النوع الواحد وعلى أساس الانتخاب الطبيعي حيث البقاء للأصلح والأقوى في الأنواع كما أن تبني هذا المذهب يترتب عنه الكثير من الفوائد منها معرفه الحقيقة لأن الإنسان لا ينبغي أن يطمع لصالح حاله وأحواله إلا بمعرفة الحقائق الصحيحة

[1] شميل: الحقيقة، المصدر السابق، ص 59.

[2] شميل فلسفة النشوء، المصدر السابق، ص100.

[3] شبلي شميل، فلسفة النشوء، المصدر السابق نفسه، ص102.

الذي يجب عليه أن يسعى إليها وأن لا يخجل من كون معرفه أن أصله حيوان فالهيفة لا يخجل منها إلا من كان جاهلا، كما أن هذه المعرفة تجعله يتقدم إذا أحسن استعمالها[1].

لقد تأثر شبلي شميل بتشارلس دارون ويظهر ذلك في كتاباته وآرائه العلمية ويعتبر أول من أدخل النظرية الداروينية إلى العالم العربي حيث أثارت جدلا كبيرا واسعا في الفكر العربي خاصة وأنها تهدم المعتقدات الدينية وتزعزع أركانه حيث رأى أن كل موجود من إنسان و حيوان وجماد من أصل واحد في نشوءها وتطورها وموادها فهي قاطبة من أصل واحد وشديدة الإتصال ببعضها البعض أما فوائد هذه النظرية في رأي شميل في أن الإنسان من خلالها يرى نفسه في حركة تطورية نحو التقدم والكمال واقترابه من الطبيعة يساعده على التحرر من كومة الخرافات والجهل كما أن هذه الأخيرة تزيده إلا تأخرا كما يكشف عن نزعته المادية حيث أن الكون في نظره مادة موجود منذ الأزل فهو المرتكز الرئيسي للحياة وغاية منه لإرساء قواعد التفكير العقلاني في المجتمعات العربية.

[1] شبلي شميل، فلسفة النشوء، المصدر نفسه، ص33.

الفصل الثالث

النهضة في مشروع شبلي شميل .

المبحث الأول: أسباب تأخر العرب

المبحث الثاني: إستراتيجية تجاوز التخلف

المبحث الثالث:نقد نظرية النشوء والارتقاء

الفصل الثالث: النهضة في مشروع شبلي شميل

لم يعرف العالم العربي نهضة إلا مع بداية القرن التاسع عشر إذ تنبه للمثقفون العرب بخطورة هذا الوضع على المجتمعات العربية من بينهم نجد شبلي شميل حيث رصد أسباب تأخر العرب واقترح البدائل الاجتماعية والعلمية لتحقيق نهضة عربية.

المبحث الأول: أسباب إعاقة العرب

لقد حصر شبلي شميل أسباب تخلف الشرق وانحطاط الفكر العربي والوضع المزري التي تعيشه معظم المجتمعات العربية على كافة الأصعدة سواء السياسية ، الاجتماعية ، الاقتصادية وبالأخص من ناحية العلمية ولعل أهم أسباب انحطاط الشرقيين فإن شميل يتهم الدين باعتباره عائق في سبيل التقدم البشري:

أ/الدين:

إن القارئ لمؤلفات وكتابات شميل يرى أنه ينصب نفسه عدو الدين باعتباره عائق في طريق التقدم حيث أن الدين عنده بشري الصنع نتج عن خوف بسيط وتطور مثل تطور الإنسان حيث نرى أنه يسقط مذهبه حيث يقول علي الدين هلال "***وفي إطار نظرية التطورية فسر شميل الدين بعجز الإنسان تجاه قوى الطبيعة فعندما واجهت الإنسان أحداث وظواهر لم يتمكن عقله من أن يجد تفسيرا مقنعا لها لجأ إلى فكرة الدين***".

يرى شميل أن الدين هو سبب التخلف والجمود الفكري التي أصبحت عليها المجتمعات العربية إلا وهي تلك التصورات والمعتقدات الزائفة حيث اعتبرها شميل مجرد أوهاما يجب القضاء عليها فان الإنسان إذا تمكن الوهم منه سقطت قواه وفقد أسباب العمل اذ يستولي الخوف على طباعه والرعب على حواسه تستلفته حوادث الكون عوضا أن يبحث فيها ويستفيد منها[1].

[1] شبلي شمبل، فلسفة.النشوء والإرتقاء ص 26

إذ يرى أن مظاهر الكون قوه خفية لا يفهمها ولا يدركها تثير في نفسه الخوف نحوها {إذ يرى كل شيء اله ظاهرا وأرواحا ساحرة فيستدعي في حركاته وسكناته أرواح الأشجار وقوات الجبال ونفوس الكوكب وما يستدعي الخيالات و أوهاما لا تجلب له خير له ولا تدفع له ضيرا[1].

لقد كان شميل جريئا فعلماء عصره كانوا يتحفظون في مناقشة هذه المسائل فان ناقشوها فإنهم يتحاشون الوصول بها إلى عنق الزجاجة الخطر فهم في الغالب يناقشوها كمسائل غامضة أو مبهمة.

لكن شميل يعلن موقفا عنيفا وخطرا بتحديه للأديان فهو يعلن **{أن الإنسان طبيعي هو وكل ما فيه مكتسب من الطبيعة وهذه الحقيقة لم يبق إلى سبيل إلى الريب منها اليوم ولو أمر على إنكارها من لا يزال مفعول التعاليم القديمة راسخا في ذهنه رسوخ النفس على الحجر}**[2].

كما يعتبر الدين مصدر من مصادر شقاء الإنسان وعلته الوحيدة للتقدم كما يقيد حرية الفكرية حيث على حد تعبيره "**ولو لم يكن في الديانات سوى تقيد حرية الفكر يكفي أن تكون علة شقاء الإنسان في دنيا**"[3].

وما يتضح لنا جليا أن شبلي شميل يرفض وجود الدين باعتباره أن الدين مجرد أوهاما استولت على عقل الإنسان بسبب مظاهر الطبيعة ووحشيتها فاتخذ من مظاهرها آلهة ثم تحولت فيما بعد إلى ديانة "**إذ يرى أنه محاط بالأرواح يراه من حيث لا يراه وتفعل فيه من حيث لا يناله بيده رزقه وحياته وسعادته و شقاؤه فكيف يستطيع أن يكون على ثقة من أمره وشغله الشاغل أن يقترب إليها واجفا حائرا لا يعرف كيف يرضيها إذ لا يعرف ما يغضبها**"[4].

---

[1] المصدر نفسه،ص 26.

[2] رفعت سعيد، المرجع السابق، ص32.

[3] شميل: فلسفة النشوء، المصدر السابق، ص27.

[4] المصدر نفسه، ص30.

كما أنه يربط صلاح الأمة بمدى ابتعادها عن الدين حيث يقول "**بل لا يصلح حال الأمة كلما ضعفت فيها شوكة الديانة ولا تقوى شأن الديانة إلا كلما انحط شأن الأمة**"[1]، كما يعتبر أن الإنسان له اتصال فقط بالعالم الحس وليس هناك في تركيبته أو قوى تدل على اتصاله بعالم الروح والغيب.

كما يشير شميل في كتاباته أن الدين اليوم ليس هو نفسه ما كان عليه في القديم فقد نشأ الإنسان في معبوداته وتحول فيها كما نشأ وتحول كل شيء له علاقة شديدة لا بد كعادته و لغاته ونظاماته جميعا حيث يقول: "***فلم يكن في عبادته في أول أمره كما هي اليوم في أديانه الكبرى بل كانت بسيطة جدا عبارة عن خوف فقط لم ينظر فيه إلا مصلحته القريبة فعبد كل من رأى فيه سلطان عليه وكما عبد الناس ملوكهم وألهوهم في القديم***".

ويجدر الإشارة إلى نقطة هامة ***{ صحيح أنه شن هجوما على الدين إلى أنه كان يحترم الدين كما أنه يؤكد بوضوح تام أنه نظرية داروين لا تعارض الأديان لكنه يركز هجومه في الأساس على رجال الدين أنفسهم }***[2].

هنا يتضح أن شميل يحترم الدين كتراث إنساني لكن نقده وهجومه كان على رجال الدين حيث يصبح الدين وسيلة لكسب المال سببها هي تلك المعركة المفتعلة بين أنصار الاحتلال بث روح التفرقة بين المسلمين والمسيحيين في مصر[3].حيث يقول: " ***يا مقلنسي الجهل ومعممي الضلال أين رأيتم في أديانكم ما يسمح لكم بأن تزرعوا في رؤوس أبنائكم الجاهلين التفريق بين الناس إلى حد التباغض ...*** ". كما أن شميل يحمل الدين على جهتين الأول أنه ذريعة يتذرع بها الرؤساء والزعماء للسيطرة على ذوي العقول الساذجة فيمنونهم بالأماني العريضة ويحسنون حال الحياة الآخرة التي لا

[1] نفسه، ص30.

[2] رفعت سعيد: المرجع السابق، ص32.

[3] المرجع نفسه، ص34.

حزن فيها ولا شقاء فما يلبث هؤلاء أن يصدقوا أقوالهم تلك ويتبعونهم طبعو عليه من محبة الذات والتعلق بالبقاء الأزلي[1].

والثانية أن المعتقدات الدينية المناقضة للعلم عقبه في سبيل التقدم البشري ناهيك بأنها أساس التعصب والتباغض وتناحر الأمم { ***وإذا نظرنا إلى التاريخ رأيت على صحافته من الدم سطور لو جمعت كانت بحورا وما سببها إلا لعدوات آثارتها الديانات***}[2].

كما أن الدين يجعل أن الإنسان يتمسك بالأوهام والخرافات ويستحوذ الخوف عليه مما يتضح لنا أن شميل أنه لا ينصب التخلف إلى الدين حد ذاته بل رجال الدين وأيضا وأنصارهم من الحكام الذين كانوا ومازالوا يسخرون الأديان لمآربهم الخاصة وهي الاستطالة عليها والحؤول بينهم وبين التقدم[3].

كما أنه اسقط الدورانية حتى على الدين حيث يقول: "**واعلم أن مذهب دوران كما يصح على الأنواع يصح على الديانات أيضا، فإن الديانات المختلفة تنشأ من أصل واحد وتتحول بعضها من بعض وتنازع بعضها وكما أن الفائز من الأنواع من التنازع هو أنسب لأحوال الخارجية هكذا الفائز من الأنواع الديانات أيضا ما كان أنسب لأحوال الزمان والعاملان الجوهريان في الديانات هما كما في الأنواع التغير والانتخاب الطبيعي**"[4].

[1] ماجد فخري: المرجع السابق، ص103.

[2] ماجد فخري: المرجع السابق، ص103-104.

[3] المرجع نفسه، ص104.

[4] نفسه، ص104.

وقد اعتبر الجهل مصدر الدين لذلك دعا تحرر من التفسيرات التقليدية الغيبية وإلى نقل الاهتمام للإنسان ليبتعد عن الدين والماورائيات بالاعتماد على العلم الحقيقي[1] ومع أنه لم يعلن الإلحاد صراحة إلا أنه كشف في كتاباته عن فقر شديد في المعتقد الديني ويقول أيضا " ***فلو تأملت حالة الإنسان السابع في بحر الأوهام لتصورنا رجلا مرتعد القلب مشعوذ بالرقي هائما أنباء الليل وأطراف النهار***"[2].

كما أن شميل لم يعتمد في كتاباته وأبحاثه نفي الأديان لغرض شخصي بل لصحته العلمية مؤكدا على أنه ليس مجرد رأيا فلسفيا كما يقول البعض منهم[3] حيث يقول:" ***أنا لم أنظر إلى الأديان نظرا المستخف بل بحثت فيها كما بحثت في كل شيء متعلق بالإنسان ككائن طبيعي تقلب على أطوار مختلفة في نشوءه، وهي في اعتقادي نفعت كثيرا وأضرت كذلك ككل نظام يكون نفعه أكثر من ضره في أوله ثم ينقلب على أيدي أتباعه إلى الضر وأنه الضر وأنه لا يعود يصلح... لا بد من تعديله على الدوام***"[4] .

بمعنى أن شميل لم يكن يستخف بنظره إلى الدين وإنما بحث فيه كما بحث في كل الموجودات فلقد اسقط مذهب دارون على الدين إذ ينشا الدين ويتطور من نشأة الإنسان وجميع الأحياء في نظره فالدين حسب شميل قد أضر كثيرا ويحمل رجال الدين هذا الضر الذي سبب الجمود وقيد حرية الإنسان كما يشير أولئك الذين يرتكبون الجرائم والفضائح باسم الدين فيرى أن هذا هو الجهل بعينه[5].

يعتبر شميل الدين هو مصدر الجهل وإذا كان الدين مصدر الجهل فيجب إلغائه لأنه يقيد حرية الإنسان ويعرقل سير تقدمه وتطوره كما يهاجم رجال الدين بصفة خاصة وأولئك الذين يرتكبون

---

[1] هشام شرابي: المثقفون والعرب، دار النهار للنشر، ط2، بيروت لبنان، 1981، ص33.

[2] شبلي شميل: فلسفة النشوء والارتقاء،المصدر السابق، ص26.

[3] شبلي شميل: آراء الدكتور شبلي شميل،المصدر السابق، ص16.

[4] المصدر نفسه ، ص17.

[5] نفسه،17.

الجريمة باسم الدين وبالرغم من تهجمه العنيف على الدين إلا أنه لم يدافع على الإلحاد كظاهرة اجتماعية ولم يركز هجومه على الدين حقيقة موحى بها[1].

ومن خلال مما سبق ذكره يظهر لنا واضحا أن شميل قد أعلن حرب عنيفة جدا ضد رجال الدين وأتباعهم وجعل من الدين العائق في طريق النهضة كما أنه يسبب الجهل والجمود الذي تعيشه المجتمعات العربية لذا فإن شميل يدعو إلى أمر واحد وهو التحرر منه وفك القيود الدينية وسلطة الدين على المجتمع العربي لكي يزدهر ويلحق بركب الحضارة كونه العائق لذا يجب إزاحته لتحقيق التقدم والتطور لذا فإنه يتهم الدين ويلقى وزر هذا التخلف إلى الدين.

ب/ الاستبداد السياسي (السلطة)

من المظاهر التي شدت انتباه شميل واعتبرها من بين الأسباب والعقبة الثانية نحو سبيل التقدم والارتقاء ألا وهي السلطة و غياب العدل وأسسه وغياب الحرية وشميل ألقى الضوء على هذا الأمر وألقى إصبع الاتهام نحو الحكام وكذلك المحكومين، وهذا ما استحال نهضة على الجانب السياسي بداية من أنظمة سياسية فاسدة إلى حكام فاسدين حيث تتخذ السلطة شكلين الأولى على أساس الدين السلطة الروحية، حيث يسيطر على عقول الشعوب وتستغل عواطفه وتجبره على الاستسلام إلى القضاء والقدر وإقناعه بحالتي الفقر والتخلف التي يعيشها[2].

والثاني فكره الحكم الملكي التسلطي والذي يكثر بكثرة في العالم العربي يقول شميل: "***إن سبب تأخرنا وتداعي الملك هو فقدان العلم والعدل والحرية من المملكة أركان ثلاثة من دونها لا يعتبر ملك ولا تسود أمة، إذ لا عدل من دون حرية ولا علم من دون عدل***".

إذن لتقوم نهضة يجب توفر أركان أساسية ألا وهي العدل والحرية والعلم ويرى شميل أن العالم العربي تنعدم في هذه الثلاث وهو سبب ما نراه من اضطرابات سياسية واجتماعية واقتصادية، كما أنه يرى أن الحكام العرب لا يبدون اهتمام بالعلم ويفسر أن ازدهار الأمم السابقة ترتب عن اهتمام

[1] بسام علي المومنى: العلمانية بين شبلي شميل وفرح أنطون ، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردنية، 2002، ص120.

[2] ماجد فخري، الحركات الفكرية وروادها اللبنانيون، المرجع السابق، ص74.

الملوك بالعلم وتشجيع الأمة على ذلك، كما أن الظلم يؤثر على أخلاق الأمة فتذل فيها الرعية وتسود الهموم وتنشر الكذب وتضمحل الحقيقة[1].

بمعنى أن لا خير في أمة تدل نفوسها وتقيل بالظلم والجهود والقهر دون أن تحقق ثورة على الاستبداد، كما نجد شميل يضرب المثل بأوروبا ونجاح نهضتها في القرون الماضية وما كانت تعيشه في القرون الوسطى من عصور مظلمة تحت سيطرة رجال الدين واستبداد والكنيسة وسلطتها وبعد ظهور إصلاحات على كافة المجالات ضربت في عمق مجتمع الأوروبي وحققت ثورة فكرية وعلمية وذلك إلا بعد انصرافهم و اهتمامهم بالعدل والعلم واشتراكهم مع الأمة في الأحكام وإطلاقهم للحرية[2].

إذن يريد شميل أن يحقق تلك النهضة التي قامت في أوروبا ويطبقها على العالم العربي أيضا، كون أنه يرى أن الوضع نفسه التي عاشته أوروبا في القرون الوسطى تعيشه الآن المجتمعات العربية كما أوضح كره الشديد للمستبدين ويهاجمهم بكل قوته حيث يقول " **أولئك الذين جلسوا على مناصبهم كالأرباب وداسوه تحت أرجلهم دوس التراب، يأمرون وينهون وهم على مصالح الناس لاهون**"[3].

لم تبق قوة لأن القوة موقفة على الثورة ومصادر الثورة ثلاث : الزراعة والتجارة والصناعة وهي متوقفة على نجاحها على العلم[4]. وإذا بحثنا عن أسباب نجاح الأمم الإسلامية في العصور الخالية رأيناها بسيطة جدا صادر عن اهتمام السلوك بحماية العلم وإقامة العدل وتقربهم من الرعية وتنازلهم لسماع نصيحة رعايهم ولو أنهم من عامة الشعب[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص11.

[2] شميل : فلسفة النشوء، المصدر السابق،ص11.

[3] المصدر نفسه، ص36.

[4] شبلي شميل: كتابات سياسية وإصلاحية، ط1، تر:زروق سعد، دار الحمراء، بيروت، 1991، ص10.

[5] المصدر نفسه، ص 11.

يرى شميل أن الحرية والعدل والعلم أساس نهوض المجتمع وانعدام هذه الأركان في المجتمع العربي زاد تأخره وتخلفه حيث يقول شميل: ***" إذا سلبت هذه الحرية من الأمة وامتنع العدل أولا لعدم معرفة مواضع الخلل بدل الإصغاء إلى شكوى الأمة فيقع الخلط من الحاكم فيتخبط في أمور الرعية تخبط العشواء في الليلة الضلماء وثانيهما انفراد الحاكم و أمته من مراقبة الأمة لا يقوى به التشيع مهما كان عادلا"*** [1].

إن الأمة تزدهر إذ وجدت الحرية والعدل والعلم فإذا انتفت هذه الثلاث تتحقق نهضة ولن ترتقي الأمة فكل ما هو موجود إلا تكرس لأوضاع الظلم والقهر والعبودية والفقر كما نجد أن الإستبداد هو سيد الأحكام حيث يقول شميل إذا انتفى العدل وساد الظلم فلا جرم ينطفئ نور العلم لأن الأمة إذا هبطت نفوسها إلى هذا انصرفت عن القيام بالأعمال الجليلة واستغرقت في الجهل فلا تعود تفهم للتعاون معنى في العمران ولا يعود للوطن عندها شأن وتصبح حياتها فردية لا اجتماعية فتنقضم عرى اتحادها وتكثر الفتن بينهما وتنقسم المملكة إلى حاكم يخاف الأمة وأمة تتربص للإيقاع به.

كما أنه يرى أن الجهل مصدر شقاء الإنسان ومصائبه حيث يقول: ***"ولا يخفى عليك أن مصائب الإنسان الكثيرة الألوان منشؤها الجهل ولولا الجهل، لما رأينا النزاع الذي هو أهم أركان الهيئة الاجتماعية يتضور جوعا حال الملك الذي يكاد ينشق من تخم ولولا الجهل – لما هضم فيها الكبير حقوق الصغير"*** [2].

كما يقول بخلاف الإنسان الجاهل حقيقته فانه تنطلي الأوهام عليه وتهضم حقوقه حتى لا ينفي لوجوده آثار وهما بذلك على صحة ذلك أن الأمة الهائمة في قفار الوهم لا تكون شيئا في الوجود بالنسبة لملكها[3].

---

[1] نفسه، ص11.

[2] شبلي شميل، فلسفة النشوء والإرتقاء ، المصدر السابق، ص36.

[3] المصدر نفسه،ص38.

ويقول أيضا: " ***فمهلا سادتي الجالسين على عرشكم العالي وبيدكم صولجان المجد والقوه فلا يغضبنكم إنذاري ولا تقنطوا من حكم الدهر وقد عدل فلكم صبرنا على مضغه وكان شر الجائرين ولا تطمعوا باسترداد ما فات***" [1].

إذن فالمجتمع المتأخر في نظر شميل تحكمه أنظمة سياسية فاسدة فالأمة كالجسد والجسد المريض يحكمه رأس فاسد، حيث لا عدل ولا حرية ولا علم ولعل هذه من أهم الأسباب التي وقفت عائق في سبيل التقدم وتحقيق نهضة في المجتمع العربي فالكثير من الحكام حكام جاهلين يرهبون الناس ويحرمونهم من أدنى حقوقهم.

كما ينتقد الحكم الديني والاستبدادي، " ***فالحكم الديني يرفع بعض الناس فوق سواهم ويستخدم السلطة لمنع نمو العقل البشري نمو صحيحا، أما الحكم الاستبدادي فينكر حقوق الأفراد وما مصدر الاثنين إلا المبدأ الخاطئ القائم على تفضيل المنفعة الشخصية على المنفعة العامة*** " [2].

وهما يشجعان العقل على البقاء في حالة الجمود وبذلك يعرقلان التقدم التدريجي الذي هو ناموس الكون[3]. ولم يكن شميل مجرد عالم يقاتل من أجل انتصار آرائه العلمية لكنه كان حرا يعشق الحرية ويكره الاستبداد أية صورة ويرفضه مهما كلفه ذلك من ثمن[4] وهو أيضا يهاجم التسلط والاغتصاب أيا كان مصدره ويكشف خدعه القوانين التي يسنها المستبدون ليحموا أنفسهم مدعين أنهم يحمون الحق والعدل[5].

لقد كشف زيف البناء الفوقي للمجتمع وزين القوانين والشرائع[6] ويدعو شميل من خلال آراءه إلى جمهورية حقيقية وهي توزع الأعمال على قدر المنافع العمومية لكل أفراد المجتمع بدون أي تميز، ولا طريق إلى سبيله إلى بحركة واحده من الجماهير، فالشعب وحده الذي بمقدوره أن يقرر كل

---

[1] نفسه، ص39.

[2] ألبرت حوراني: المرجع السابق، ص299.

[3] المرجع نفسه،ص299.

[4] رفعت سعيد: المرجع السابق،ص50.

[5] المرجع نفسه ، ص51.

[6] المرجع نفسه، ص51.

شيء، فإذا رفض الاستبداد زال الاستبداد أما إذا خضع له واستسلم فإن الطغاة يواصلون طغيانهم، إذن فلابد أن تتحرك الأمة.

ثالثا/تمسك العرب بالتراث القديم وإهمال العلوم الحقيقية:

لعل من بين الأسباب التي جعلت الفكر العربي يعيش حالة الجمود والتخلف الذي برز في كل المجالات، هو تمسك العرب بالتراث القديم وإهمال العلوم التجريبية القادرة على إحداث نهضة حقيقية إذ انتشرت مظاهر الفقر والتخلف، فأراد شميل أن يحدث ثورة على المفاهيم القديمة لكي يثير ضجة [1].

وهو يستخدم نظرية النشوء والارتقاء كسبيل لزعزعة سلطان الأفكار القديمة على العقول مستهدفنا تحرير العقل من أسر الماضي[2]. ومثال ذلك التربية الدينية التي تغرس فيه روح التكلف والرياء[3].

ومن مآخذه الأخرى على المناهج التقليدية في البلاد الشرقية، أنذاك توفرها على المماحكات اللغوية واشتغال بالأوهام، حتى صارت علوم اللغة كما يقول مماحكات والفقه سخافات والشعوذة وعلوم الآداب و الفلسفة هياما في الأوهام لا ضابط لها كما أنها تضر المجتمع فهي بعيدة من الحقائق الطبيعية وكلما ازداد تمسكه بهذه المبادئ الفاسدة فإنها تعيق تقدمه تأخره[4].

كذلك اهتمامه فقط بالعلوم العقلية والجدلية التي لانفع فيها مهملين العلوم الطبيعة الكفيلة حقا أن تحقق نهضة وتقدم على مستوى ما يعيشه العالم العربي وطوق النجاة الوحيد من التخلف حيث

[1] رهف سعيد: المرجع السابق، ص22.

[2] المرجع الساق، ص22.

[3] ماجد فخري: المرجع السابق، ص72.

[4] المرجع نفسه، ص72.

يقول في مؤلفه النشوء و الارتقاء " وليس العجب أن طائفة البيداغوجيين يرفعون شأن هذه العلوم إلى حد فائق ويطلقون اسم الآداب العالية بل العجب من تهجم بعضهم على الحط من شأن العلوم الحقيقة[1].

وضرر هذه التعاليم وعلى الاجتماع واضح من أنها قائمة على تخرصات وأوهام بعيده على الحقائق الطبيعية إلى هذه المدرسة الأولى للإنسان[2]. وبقي الإنسان يتقلب على هذه المبادئ ويتخبط فيها عصور متطاولة جدا ولم يتحول عنها قيد شبر في آدابه وعلومه ونظاماته[3].

كما أن التعليم فاسد حيث قاوم بشدة الطرق التعليمية في العالم العربي في عصره هذا لذا نجده يدعو إلى الانفتاح أكثر على الغرب الأوربي والذي نجده في حكوماتها وشرائحها وحكامها والأخذ بنقاشاتها أيضا ومنجزاتها العلمية، كما يشير شميل إلى نقطة جد مهمة ألا وهي أن الشرق انحصر في ذاته وفقط.

لذا فالواجب من الفكر العربي من منظوره الاطلاع على منجزات غيرهم والاستفادة منها، كما يجب تخصيص في المدارس العربية مكان للعلوم الطبيعية والتجريبية وترك العلوم المجردة والعقلية التي لا طائل منها، بعد ما اقتصر التعليم في عصره إلا على تعليم تلك العلوم الأدبية والعقلية مما أدت إلى تدهور التعليم كما يريد إدخال الدارونية إلى المنظومة التعليمية، كما يجب الإشارة هنا أن شميل يحترم التراث الإنساني لكن لا يدعون إلى التمسك به إذا كان عائق في سبيل التقدم والنهضة العربية.

[1] شبلي شميل،النشوء والارتقاء،المصدر السابق، ص24.

[2] شبلي شميل، فلسفة النشوء، المصدر السابق، ص44.

[3] المصدر نفسه، ص45.

المبحث الثاني: إستراتيجية تجاوز التخلف

أولا/العلم الطبيعي

يعد العلم الطبيعي في نظر شميل بمثابة الدين الحضارة الحديثة فهو القادر و المصلح الوحيد لهذا التخلف وأعظم الأمور شأنا وعليه يتوقف ارتقاء الأمم وتقدمها، لذا أولى اهتمام كبير بالعلم لأنه في نظره مفتاح الإصلاح وطريق التطور و التقدم، فالتقدم الذي شهدته الحضارة الغربية كان بسبب الثورة العلمية ونفصل العلوم الطبيعية، والطريق إلى التقدم والتحرر وتحقيق آمال الإنسانية هو إحياء العلوم الطبيعية[1].

وقد حاول أن يقيم نظاما قائما على العلم الصحيح وهذا العلم مبني على منظومته الفكرية أي مذهب النشوء والارتقاء، وإدراك لأهمية العلم الطبيعي جعل الأسس الذي بنى عليه فلسفته المادية فصلا أنه مفتاح الإصلاح في نظره وانطلاقا من ذلك انتقد الحكم البريطاني لعدم اهتمامه بالتعليم وحثه على إنشاء المدارس التي تدرس العلوم الطبيعية والسلوك الاجتماعي السليم وأن يعلم نسقا من القيم يقوم على المساواة وفصل الدين على الدولة[2].

وبناء على ذلك حث شميل المثقفين على التطلع إلى أوروبا التي استطاعت أن تتقدم وتنشئ مؤسساتها على مبادئ الديمقراطية والجمهورية بعد أن نجحت أولا في القضاء على الخرافة ونشر المعرفة[3].

كان شميل يعتقد أن أعظم الأمور شأنا لا بل أساسها جميعا إنما هو العلم، لقد كان ينتمي إلى تلك الحركة الكبرى التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر والتي كانت تعتبر العلم عشر أكثر من مجرد اكتشاف النظام في ترابط الأشياء إذا كانت مفتاحا لحل لغز الكون، بل نوعا من العبادة[4].

---

[1] رفعت سعيد ، المرجع السابق، ص35.

[2] ماضي أحمد: شبلي شميل رائد العلم والتفكير العلمي في الشرق العربي، مجلة شؤون العربية، تشرين الثاني،1982.، ص03.

[3] شميل: المجموعة ، المرجع السابق، ص13.

[4] ألبرت حوراني: المرجع السابق، ص297.

إذن فشميل يعتبر العلم الحل الوحيد لتحقيق النهضة في العالم العربي والوحيد المزعزع للخرافة والجهل ومفتاح التقدم والارتقاء، كما يؤمن شميل أن التمسك بمبادئ العلوم الطبيعة، فإن ذلك يقوده نحو التقدم والارتقاء وتنجم عن ذلك الكثير من الفوائد وتفتح أفقا جديدة للمجتمع حيث يقول شميل في، " **فالعلوم الطبيعية هي أم العلوم الحقيقية ويقتضي أن تكون أم العلوم البشرية كافة وأن تقدم في كل شيء وأن تدخل في تعليم كل شيء فيصبح نظر الإنسان حينئذ في لغاته وينتظم قياسه في دليله وتقوى فلسفته بارتباطها وتعلوا آدابه لانطباقها على العلم وتصلح شرائعه لتطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعي ويتسع عقله لانطلاقه من قيوده المناقضة. ونقيده بنظام واحد شامل**"[1].

وينقص بذلك العلوم الأدبية والعقلية والجدلية التي في نظره هي السبب على كل ما نراه في فساد واضطراب في المجتمع و العلوم الطبيعية هي المصلح الوحيد والمعول لزعزعة تلك العلوم التي لا لضر ولا نفع منها.

لقد كان شبلي شميل مقتنعا أن العلم سيغير حياة الإنسان وسيلعب دورا هاما في مستقبله ويكشف له أسرار الطبيعة والوحيد القادر على تفسير تحولاتها وأفعالها سواء البسيطة أو المركبة بين جميع الكائنات[2].

وباعتبار أن شميل علماني فهو يؤمن فقط بالعلم الحديث والعلم الطبيعي بالتحديد وبصفه خاصة حيث أنه الوحيد الذي باستطاعته كشف حقائق الأشياء وسبيلها الذي ظل الإنسان عنه إذا ضل عن سبيل العلم راح ينشد الحقيقة عن طريق آخر هذا الطريق الآخر بضرورة نقيض العلم ربما كان الدين في الأساس[3].

[1] شبلي شميل: فلسفة النشوء والإرتقاء ،المصدر السابق، ص48.

[2] شبلي شميل: آراء الدكتور شبلي شميل، المصدر السابق، ص14.

[3] أحمد برقاوي: المرجع السابق، ص173.

فإذا انطلق الإنسان من العلم الطبيعي فهو ينطلق من أرض صلبة واقعية ينطلق من علم حق من نظام سائد ومن نواميس الكون وإذا لا دين ولا خرافه ولا أوهام عند شميل إذا لا خلق ولا أساطير ولا قوانين خارج الكون[1].

ويتوقع شميل أن المستقبل للعلم التجريبي وقد يعد هذا التوقع صحيحا ذلك أن القرن ... شهد تطور عارما أدى إلى حدوث الثورة العلمية التكنولوجية ... وأن مبادئ العلوم الطبيعية إذا انتشرت فإنها تعود عليها إلا بالخير[2].

كما أراد شميل أن يدخل نظرية النشوء والارتقاء في العالم العربي والأخذ بها وأخذ منجزات أوروبا واعتبارها مثلا يقتدي به في العلم وبغية لتحقيق نهضة حقيقية وذلك يكون بواسطة العلوم الصحيحة حيث يقول ثم نظرت إلى العلم الطبيعي من هذه الجهات كله فوجدت أنه لولاه لما انصرف الإنسان من ذلك المقام إلى هذا المقام وعرف من الحقائق واكتشف الأسرار واختراع من المصنوعات ما تعجز عنه مبدعات المعجزات كل الأديان والتصرفات[3].

ثانيا/إصلاح التعليم

لقد دعى شميل إلى إصلاح التعليم حيث يريد التأسيس لنظريته مذهب النشوء والارتقاء وإدخال العلم الطبيعي بقوة إلى المدارس خاصة في ظل ما يعيش العالم العربي من تخلف وانحطاط والسبب في نظره تلك العلوم العقلية والجدلية التي لا نفع فيها ولا ضر فيها، يجب الاهتمام بالعلوم الطبيعية حيث أن المدارس اليوم تحصر اهتمامها في العلوم العقلية الأدبية والتي كانت منذ أرسطو وتلك العلوم الحيوية في عهد لينيوس وكوفيه[4].

---

[1] أحمد برقاوي: المرجع نفسه،ص175.

[2] بسام علي المومني:العلمانية بين فرح أنطون وشبلي شميل، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية،د.ط،2002، ص103.

[3] شبلي شميل، فلسفة النشوء والارتقاء، المصدر لسابق، ص63.

[4] شبلي شميل: آراء الدكتور شبلي شميل ،المصدر السابق، ص31.

والحل هنا يقترح شميل إدخال نظرية النشوء والارتقاء إلى المنظومة التعليمية لكن هناك عائق في طريق إدخال الداروينية حيث يقول فإذا كان الخوف على دينه هو الذي يمنع المدارس و خاصة المدارس العليا من تعليم مذهب التحول، فليعلموا أولا أن هذا المذهب اليوم ليس نظرا فلسفيا يحتمل الشكل بل هو مذهب علمي ثابت أدلته محسوسة لا تقبل النقض لمهما حاولوا طمسهم فإنهم لا يفلحون ولا بد أن يحتل المدارس احتلالا دائما في زمن قريب فليعلموه إذن وليقفوا فيه عند حد العلم البسيط[1].

لقد اهتم شميل بالتعلم كقضية اجتماعية عامه وحاول أن ينظر في أمراه من خلال مؤلفه فلسفه النشوء والارتقاء، يعني تعليم من منظور علماني " يدعو شميل إلى تعميم العلوم الطبيعية ونشرها على نطاق واسع عن طريق التعلم بكل مراحله لتحل مكان المناهج الدراسية العقيمة التي تثيرها المقولات الدينية[2].

يرى شميل أن العالم العربي أو الفكر العربي قد كرس اهتماماته على صعيد العلوم العقلية والأدبية والتي حسبه لا تزيد إلا شقاء للإنسان دون أن تحرك في وضعه شيئا وتحقق له نجاحا في حياته أو تقدم له ما يعينه على فهم الظواهر والحوادث تاركا تلك العلوم التجريبية والعلم الطبيعي والذي بمقدوره ووسعه أن يحقق له انقلاب في أوضاعه المنحطة وواقعه المتخلق ويحقق له الرخاء وذلك حسب شميل يكمن في إدخال نظريته في النشوء والارتقاء لدارون باعتبار هذه الأخيرة حقيقة علمية مؤكدة لا مجرد نظرية فلسفية، إذ يجب تدريسها في المدارس العربية بالإضافة أيضا انه يجب دراسة العلوم الطبيعية ومن خلال هذا يتبين أن شميل أراد تحقيق ثورة وهذه الثورة تحقق إلا بفعل واحد ألا وهو مبادئ العلوم الطبيعية فهي أساس التقدم والارتقاء ويجب تعلميها في المدارس.

[1] شبلي شميل: فلسفة النشوء،المصدر السابق، ص31.

[2] عبس ابراهيم: شبلي شميل داعية العقائدية الغربية، مجلة الفكر العربي عدد9-40، 1985، ص08.

حيث في نظر شميل أن العلوم الطبيعية الوسيلة والسيل الوحيد لإنقاذ الشرق من هذا التخلف، حيث يقول أن العلوم الكلامية التي تدرس أنذاك مجرد سفسطة ولغو[1]. بمعنى لا فائدة مرجوة منها وينبغي على المعلمون أن يدرسوا طبائع تلميذ ويعاملون بحسب طبيعته ويكون بذلك نبهاء ليلاحظ ميول كل تلميذ وإمكانياته العقلية وقدراته، ليردوه على الفساد وتنشيطه على الأداء الحسن فالكثيرون من العقول الذكية انطفئ نورها والسبب سوء المعاملة وقابلية التلميذ وقدرته العقلية[2].

لذا فشميل يدعو من خلال هذا إلى الأخلاق في المدارس ودراسة طبائع التلميذ والتنبيه للقدرات التلميذ بحسب ملكاته حيث أن الكثير من التلاميذ بسبب سوء المعاملة من المعلمين انطفئ نور العقل فيها وفسدت طبائعهم وفقدوا ونشاطهم.

ثالثا/فصل الدين عن السياسة

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح لنا جليا موقف شبلي شميل من الدين وباعتباره علماني فهو يرفض باعتباره عائق في طريقه التقدم وهو لا يرفض الدين كتراث إنساني بقدر ما ينقض رجال الدين باعتبار أن الدين يقيد حرية الفكرية ويعرقل نمو العقل البشري وتقيد الإنسان بالخرافات والمعتقدات الخاطئة، فإذن فدعواه هي فصل الدين عن الحياة السياسة أي بعبارة أخرى فصل الدين عن الدولة إذ أن الدين عنصر التفرقة لا بحد ذاته بل لأن رؤساء الدين ينددون الشقاق بين الناس مما يبقى المجتمعات ضعيفة والأمم تقوى بمقدار ما يضعف الدين فيها، فهذه أوروبا في أرقى حالاتها في أحكامها و شرائعها فهي لم تصبح قوية متمدنة فعلا إلا عندما حطم الإصلاح والثورة التي كان في فرنسا سلطة الأكليروس[3].

[1] رفعت سعيد:المرجع السابق، ص38.

[2] شبلي شميل: الحقيقة، المصدر السابق، ص175.

[3] ألبرت حوراني:المرجع السابق، ص300.

على المجتمع أي سلطة ويرى شميل أن الدولة تقوم إلا على المبادئ الحقيقية أي المبادئ الديمقراطية حيث تحقق فيها الحرية والعدالة والمساواة لذا فإن شميل ينصب نفسه عدو لإتباع الدين فهو طريق التخلف والسبيل الوحيد لفك قيود التخلف والجهل، يجب إذن فصله عن الحياة بأكملها كما ينقد فكرة السلطة الدينية التي تسيطر على الشعوب التي تزيده إلا تخلفا وجهلا وأكثر انحطاطا لذا دعى إلى فصل الدين عن السياسة ودع إلى جمهورية ديمقراطية أساسها الحرية، العلم، والعدل.

كما أنه يرى أن الدولة المستقبل هي تلك الدولة التي يكون فيها النظام الجمهوري النموذج السياسي الأمثل لها والذي يقوم فيه الحكم على المبادئ حيث تتمثل السلطة بالجمهور الأمة وتسود فيهم الحرية والعدالة والمساواة فتنعم المجتمعات سعادتها بعد معاناة طويلة من الأحكام الملكي[1].

كما أن القوانين يجب أن تكون نابعة من الشعب حيث تتشارك الأحكام مع الحكام والمحكومون أيضا " إن هم جميل كان منصبا على هدم رموز الدولة الدينية في المقام الأول من خلال فهم متميز لقانون التطور والارتقاء فلم يكن يهتم إلا بمسألة فصل الدين عن الدولة لأنه كان يؤمن بالتسامح وبفضلة الاشتراكية[2].

لما نجد شميل يدعو في كتاباته بالشعوب إلى الثورة على الحكومات الفاسدة وذلك يكون حسبه إلا بنظريته النشوء والارتقاء والعلم الطبيعي وفصل الدين عن السياسة الدولة كما يدعو إلى مجلس الأمة حيث ينتخب فيه الأعضاء في سبيل مصالح البلاد ولعل الذي دفع شميل إلى هذا الهجوم هي تلك المعركة مفتعلة التي حاول بها أنصار الاحتلال بتاريخ التفرقة بين المسلمين والمسيحيين في مصر ... وفي هذه الفترة وفق شميل يهاجم رجال الدين المسلمين والمسيحيين معا ويتهمهم بالتحريض على الفتنة[3].

[1] بسام علي مومني: المرجع السابق، ص132.

[2] نفسه، ص135.

[3] رفعت سعيد:المرجع السابق، ص34.

حيث يقول ويصبح بأعلى صوته " ***يا مقلنسي الجهل و الضلال أين رأيتم في أديانكم ما يسمح بأن تزرعوا في رؤوس أتباعكم الجاهلين للتفريق بين الناس إلى حد التباغض والتقاتل***"[1].

ويدعو شميل إلى الثورة ونظام طبيعي يقوم على المساواة لكن كيف يحقق هذا النظام والإجابة عنه سوى حركة الجماهير حيث أن الشعب رفض الاستبداد فإذا زال الاستبداد تحققت العدالة على الأمة أن تتحرك وتثور، تلك الثورة التي تخلصه من الهلاك وتكون اتفاق بين أعضاء المجتمع، والحكومة الوحيدة القادرة على تحقيق العدل هي حكومة الجمهورية الديمقراطية التي تكون مهما الأمة هي والحكومة كل شيء[2].

كما يجب أن تكون الثورة صادرة عن استعداد باطن للشعب بحيث تكون ثورة قوية لا تغلب... الثورة المنتظرة التي لابد منها هي ثورة تنصر الشعب بعضها بعضا والأمم بعضها بعضا ينصرون بعضهم على حكوماتهم لقلبها وإبدالها[3].

ويجدر بنا الإشارة على أن شبلي شميل يقدس حرية الرأي والفكر ويدافع عنها حتى إلى ألد خصومه فهو يهاجم رجال الدين، لكنه في ذات الوقت يرفض الموقف التي اتخذته الثورة الفرنسية منهم[4].

وهكذا فإن شميل يدافع عن الحرية لكن لكل الناس ... وحتى لأعدائه وأصدقائه وفكرة الحرية لديه تستحق التأهل حقا فهو يدعو وهذا بارز في كتاباته إلى عدم التقيد أي حرية مطلقة كليه تامة لا قوانين ولا دستور كما يعتبر القانون مجرد عقبة في سير تقدم الإنسان حيث على حد تعبيره أنا حر كأحرارنا ولكن غير دستوري فلا أقيد الحرية بالقانون لئلا أكون به حرا في استبداد او مستبدا في حرية[5].

---

[1] رفعت سعيد: المرجع السابق، ص34.

[2] المرجع نفسه، ص34

[3] نفسه، ص54.

[4] نفسه، ص54.

[5] نفسه، ص55.

يحاول شميل من خلال هذا أن يقوم المجتمع بدون دستور أو قانون ويطالب شميل بالإصلاح الداخلي إصلاحات حقيقية[1].

- بنشر العلم في البلاد على أسلوب يقرب بين طوائف الأمة حتى تصبح كلها قلبا واحد في محبة الوطن.
- وبأن تنظر إلى أبناء الوطن كأنهم شعبا واحد يقطع النظر إلى أديانهم ومذاهبهم.
- وبصيانة مصالح الأمة حتى ينشأ فيهم حب الإقدام على الأعمال وتكثر بينهم الشركات الوطنية لإصلاح مصادر ثروتنا.
- وبإقامة العدل بين الناس حتى يتساوى الجميع ولا يكون لطائفة نفوذ على الأخرى.

كما دعى شميل أيضا:

★ بضبط مصالح الحكومة لتسير على محور العدل ويقوى بها الملك فلا يستبد العالم بها ويستخدمها لقضاء أغراضه ويصرف الأموال المرتبة لها لمنفعته الخصوصية...

ولا يقوم هذا الإصلاح إلا بتحقيق العدل داخل المجتمع وزرع التسامح والمساواة وحرية الرأي والفكر دون تقييد وتحرير الشعوب من سلطة الدين وفصل الدين عن الأمور السياسية باعتبار أن السياسة شيء والدين شيء آخر والسبيل لذلك قائما على مبادئ العلوم الصحيحة، ويصور لنا شميل المجتمع ويشبه بالجسد الإنساني تتكامل أعضاءه فيما بينها ومن الطبيعي استمرارية الحياة في هذا الجسد يكمن في اتفاق هذه الأعضاء مع بعضها البعض وعلى الحاكم أن يعتني بسائر فئات المجتمع فما يعتني الطبيب بسائر الأعضاء الجسم إذا أراد شفاء المريض[2].

[1] شبلي شميل: كتابات سياسية وإصلاحية، المصدر السابق، ص16.

[2] ماجد فخري: المرجع السابق، ص106.

المبحث الثالث: نقد نظرية النشوء والارتقاء

لقد تبني شميل نظرية دارون في الأصل الأنواع واعتبارها حقيقية علمية لا جدال منها ويجب الأخذ بها لركب الحضارة والأخذ بمعطياتها كما أنه يرفع راية للفلسفة المادية وهذا ما لا حظنا في مؤلفاته وكتاباته لكن بغض النظر عن أدلته في النشوء والارتقاء أن أصل الإنسان قرد إلا أنها هناك بعض زلل والنقائض عن هذه النظرية لم يحط بها علم وأخذ المفكرين باستغلال هذه الفرصة لدحض هذه النظرية و علميتها باعتبارها معادية للعقائد الدينية في الأوساط العربية فمنهم من نقدها على أساس ديني ومنهم من نقدها على أساس علمي لصعوبة تأيد التولد الذاتي.

صحيح أن النظرية تمثل تحليل لغويا و فلسفيا وفكريا جميلا لظهور الحياة عبر تطور وظيفي للكائنات الحية مع الزمن بنقلها إلى كائنات أخرى لكن المشكلة ليس في تحليل اللغوي ولا الضبط الفلسفي وإنما ميدان العلم مشكلته مع البرهان والدليل لا لعب بالألفاظ[1].

يقول أحد التطورين" التطور عمليه بطيئة تتطلب آلاف السنين لكن نجد عندنا إذن أكثر من ثلاثة ملايين نوع من الكائنات الحية المتنقلة وبخلاف المنقرضة وبحساب عدد الأنواع على المعدل الزمني لظهورها تتكون النتيجة أنه لابد أن يظهر كائن حي مستقل جديد لكل بضعة أيام... ونحن لم نرصد أي تطور على الإطلاق[2].

لكن الجدل هنا ليس جدالا دينيا كما يظن البعض منهم بل هو جدال في الأساس قائما بين نظرية التطور بين العلم المادي والتجريبي[3].

كما أن الأبحاث الجديدة **Evolutiday developmental bialogy** قد أثبت أن نظرية التطور تعاني مشاكل حقيقية جذرية في عمقها وقد بين أن هذه النظرية مازالت حلما يداعب دعاتها

[1] هيثم طلعت:40 خطأ في نظرية التطور أخطاء لا يريدونك أن تعرفها؟؟د.ط،د.ت، ص 04.

[2] المرجع نفسه: ص06.

[3] نفسه ص06.

وليست حقيقة علمية مثبتة بالتجربة فهذا ستيفن جاي جولد صاحب التأييد الأكبر لهذه النظرية وهو أيضا عالم بيولوجي يقول بصارح العبارة أن الدارونية مجموعة القصص الطفولية[1].

إذن نظريات التطور في تفسيد أصل الحياة لا تمتلك أي دليل علمي لاستناد على الإطلاق ولا تتعدى أن تكون مجرد استقراء مبني على الأساس أن فكرة التطورية صحيحة[2].وهناك مسألة أخرى لم تأخذها نظريات التطور بنظر الاعتبار وهي مسألة التي تخص المعلومات التي يحتاجها الكائن الحي لكي يتمكن من أراء وطائفة والتي تمثل كل الفرق بين الحياة والمادة وبدلا من ذلك فإن التطورين نظرو إلى الكائن الحي وكأنه نظام مادي فقط[3].

لقد بنى مفهوم التطور على فكرتين الأولى وجود التشابه بين الكائنات الحية والثانية أن بعض الأحياء إذا انقرضت ولذا فإن أحياء أخرى فضرورة قد ولدت إلا أنه لا تتوفر تستند فكرة ولادة هذه الأحياء[4].

بمعنى لا تتوفر لنا أدلة قاطعة تدل على التطور بين الأحياء أو فكرة التشابه بين الكائنات الحية أو أدلة قاطعة على انقراض أنواعا وولادة أنواعا أخرى بضرورة أي أن أصل دعاة هذه النظرية تقوم على المغالطات بما أنه يوجد كائنات متشابهات إلى حد بعيد في الشكل المورفولوجي Morphology الإطار الشكلي والبنائي والتشريحي والوظيفي لهما أب واحد[5].

[1] هيثم طلعت،المرجع السابق، ص08-09.

[2] طالب الجنابي: نظرية التطور الدارونية خرافة بإسم العلم، ط1، دار الأضواء ، بيروت/ لبنان، 1989، ص04.

[3] المرجع نفسه، ص04.

[4] نفسه ص08.

[5] هيثم طلعت: المرجع السابق، ص 05.

واصل هذه المغالطة مثلا هو مغالطة الاستدلال الدائري كما يقول الجيولوجي الملحد السابق جونا ثان jonathan Weels هل تشابه السحاب والأيس كريم يعني أنها من سلف مشترك؟[1]. وقد كتب الملحد استاذ الوراثة مايكل دانتون كتابه التطور نظرية في أزمة لأنه رصد اشكالات حقيقية تواجهها هذه النظرية[2].

كما أنه لا توجد أحافير كما يدعى رواد هذه النظرية في أصل في الاختلاف بين الأنواع الحية حيث اعتبرها البعض قضية تحليله وليست حقيقة علمية[3].

وقد حاول التطورين إخضاع هذه النظرية على الإنسان... وصعوبات خاصة فالأدلة قد د لت أن الإنسان ظهر فجأة على الأرض وأن الإنسان ظهر فجأة على الأرض والذي كان يعتقد بعضهم أنه فصيلة القرد اتضح انه إنسان من نوع آخر ظهر على الأرض وانقرض بنفس الهيئة التي وجد فيها ودون تغير أو تطور كما يقولون كما ليس له علاقة مع الإنسان الحالي[4].

كما أن بعضهم لجأ إلى تزييف الحقائق والأدلة للبرهان على نظرية التطور لأنها بطبيعة الحال تتماشى مع فلسفتهم، منها تزييف الحقائق لمحاولة الإيهام بصحة النظرية والتي اكتشفها العالم البريطاني سير فريد هويل 1987[5].

ومع أن محاولات التزييف هذه تعتبر جرائم خلقية وجرائم علمية إلا أنها حقيقية واقعة لا سبيل لإنكارها والذين يتصورون أن جميع العلماء محايدون وموضوعيون تماما في طرح المسائل العلمية يقعون في وهم كبير[6].

---

[1] هيثم طلعت:المرجع نفسه،ص05.

[2] المرجع نفسه، ص07.

[3] المرجع نفسه، ص10

[4] طالب جنابي، المرجع السابق،ص08.

[5] أورخان محمد علي: المرجع السابق، ص 09.

[6] المرجع نفسه، ص08.

كل هذه النقائض لها أدلة على صحة هذا فهذه النظرية في أزمة حقا كون أن الوسط العلمي للأصول والأنواع غير وارد ومؤكد لذا تبقى مجرد نظريات فلسفية تفتقد للإنتاج العلمي والصحة، كما أن البعض اعتبرها فرضية لا نظرية كانت فلسفية، تسمى بالثورة الجنسية والتي انتشرت في الغرب والإنسان في هذا يتيح غرائزه مثل الحيوانات كما أنها إهانة كبيرة للهوية الانسانية ووصفه بالحيوان فيه[1].

حيث انتشرت هذه الثورة الجنسية في العقلية الغربية، فإذا كان الإنسان يندرج من أنواع حيوانية حقا فإن الأخلاق مجرد خرافة. إذن الإنسان مجرد حيوان يتبع غرائزه مثل الحيوانات الأخرى الحية. إذن فرضية التطور في هذا الصدد بنظرية ناشرة لليأس والشعور بالانحطاط والإلحاد وأكثرها تهديما للمجتمعات كما أنها بعيدة عن الحقيقة وقريبة للخيال وبعيدة عن الواقع[2].

وفي سجل المتحجرات يقول العالم التطوري جورج كايلورد سمبسون gaylord simposon بالرغم من هذه الأمثلة فإن الحقيقة التي يعرفها كل علماء المتحجرات هي أن معظم الأنواع من الأجناس والفصائل وكل الأصناف فوق مستوى الفصائل ظهرت في السجل الجيولوجي فجأة و دون أن يكون هناك تطور معروف تدريجي مستمر وتشكل تسلسل...[3].

بمعنى أن سجل التاريخ لم يوجد فيه هذا التطور وتغير الأنواع بعضها ولادة جديدة لأنواع أخرى لم يكن هناك تدرج وتبدل وتحولا كما ما هو معروف عن النظرية، كما أن الوظائف البيولوجية أنظمة معقدة في كل كائن حي والتطور لا يفسر شيئا[4].

---

[1] المرجع نفسه، ص09.

[2] علي اورخان محمد، المرجع السابق، ص09.

[3] المرجع نفسه، ص 13.

[4] هيثم طلعت: المرجع السابق، ص14.

ويقول العالم البيولوجي التطورية والوراثة السكانية الأمريكي الشهيد ويليام بروفاين provine الانتخاب الطبيعي لا يعمل على شيء فلا هو ينتخب لصالح شيء أو ضده ولا هو يقهر ولا يكثر ولا يخلق ولا يعدل ولا بشكل ولا يشتغل ولا تعود ولا يصطفى ولا يحافظ على شيء ما...[1].

هو هناك تفاسير أخرى للأصل الحياة أكثر منطقية من التطور والأدلة العلمية الحديثة يثبت أن الإنسان ليس مجرد مادة وإن الروح موجودة وأن الخلق بواسطه الله تعالى هو التفسير الوحيد المعقول الذي لا يتناقض مع الأدلة العلمية[2].

لذا فإننا نرى أن الفلسفة الماركسية وجميع الفلسفات الإلحادية الأخرى تتبنى هذه (النظرية) الفرضية لحرارة لا لكونها فرضية علمية، بل لكونها تؤيد الأفكار الإلحادية وتقوم على تفسير الكون والحياة دون وجود الخالق[3].

يقول حسين الجسر في الرد على فلسفة النشوء والارتقاء: "إن معظم ما استندتم عليه في الاستدلال على نشوء الأنواع من أصل واحد أنكم شاهدتم الأعضاء الأثرية في بعض الحيوانات لا كلها ولا في عاليها وهي آثار أعضاء توجد في الحيوان.

ويقول أيضا أنظروا للنوع الإنساني وما يوجد فيه على وجه الأرض منذ الملايين وما بين أفراده من التباينات الواسعة كما بين الزنجي والرومي، هل أخرج هذا التباين صنفا واحدا على النوع وأدخله في نوع آخر[4].

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح لنا أن نظرية النشوء والارتقاء لها نقائص بل أخطاء وهي نقيضة البحوث العلمية والبحث الجيولوجي في أصول الأنواع "**وأصل الإنسان**" مما جعل هذه النظرية تقع بين أيدي خصومها وينتهزون الفرصة لأبطالها ودحضها بل وهدمها وبيان زيف حقائقها، وقد

[1] هيثم طعت: المرجع نفسه، ص12.

[2] طالب الجنابي: المرجع السابق،ص06.

[3] ماجد فخري: المرجع السابق، ص261-262.

[4] نفسه، ص288.

تطرقت إلى نقد هذه النظرية لأن شميل يريد إدخال هذه النظرية إلى العالم العربي ظنا منه أن تبنى هذه النظرية واعتبارها حقيقية قد تحقق له تقدما في حياته.

لا جدال فيها إلا أن العلم التجريبي اليوم لم يجد أي أدلة عن ثبوت تطور الأنواع ونسبة بعضها إلى بعض لو أن الإنسان ينتمي إلى أصول حيوانية من حيث المواد والقوى كما اعتبرها بعضهم فرضية فلسفية أو نسق خيالي لا علمي باعتبار ان هذه النظرية باعتبارها مخالفه للدين والشرع الإسلامي فهي تنفي قضية الخلق الإنساني كما تدعو إلى الإلحاد في المجتمع والترويج له ونشر اليأس والاكتئاب.

الخاتمة

في الأخير وختاما لهذه الدراسة يمكن القول ان النهضة في فكر شميل قد خلدت بصمتها في الفكر العربي الحديث في القرن التاسع عشر وذلك عائد بالضرورة إلى العديد من العوامل أهمها جرأة شبلي شميل في طرحه العلمي والفلسفي واهتمامه الشديد بالواقع التى تعيشه المجتمعات العربية بعدما انتشر ودبا فيها التخلف والانحطاط في شتى صوره في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

فحاول شميل أن يحقق نهضة وثورة فعليه تنقلب فيها الموازين والأوضاع المزرية التي يعيشها العالم العربي مثلما كانت عليها أوروبا في القرون الماضية بعدما كانت تعيش هذه الأخيرة عصورا مظلمة تحت قيود وسيطرة رجال الدين والكنسية وسطوتها والسلطة التامة للدين ولكن بعد الثورة التي حققتها في القرن السادس عشر والقرون الذي قبله وبعده مهدت لظهور إصلاحات دينية مثل التي كانت مع مارتن لوثر وبسيادة العلم الطبيعي والتجريبي.

وهاهي اليوم بأرقى حلة لها سواء في شرائعها أو حكوماتها ولذا شميل وانطلاقا من تأثره بالنهضة الأوروبية يدعو إلى التحرر الفكري وكسر القيود والمعتقدات الدينية والخرافات التي لا طائل ولا فائدة منها والتي تعيق التقدم الإنساني بل وتأخره وأثناء قراءتي لشميل ومحاولتي أن أفهم المشروع النهضوي الذي ينادي به وهو موضوع دارستي بالدرجة الأولى.

رأيت أولا أن احدد بعض المفاهيم الرئيسية في فكره والجوهرية في فلسفته حيث تطرقت إلى النهضة وبدايتها وجذورها في فكر العربي مع الإشارة إلى اتجاهاتها كما وجدت شميل متأثر بشكل واضح بالنظرية الدارونية حيث طغت على فكره وتفسيره للحياة لذا كان عليا أن لا اتجاوز هذا المفهوم.

وباعتبار أن شميل برز في الاتجاه التغريبي الليبرالي والذي يؤيد بدوره العلمانية كمبدأ ضروري وشرط لتجاوز التخلف وفصل ألدين عن السياسة تطرقت إلى العلمانية في أوساط مفكري العرب وهذا ما كان في فصلي الأول الذي هو عبارة عن مدخل أساسي في موضوعي.

ولكي يسهل فهم النهضة التي يدعونا إليها الدكتور شميل وفي المحطة التالية تطرقت إلى المنهج التطوري الذي استخدمه شميل في فكره وفلسفته منها الداروينية من منظوره مع بعض الإضافات الفلسفية والمادية في فكره باعتباره مناقضا للمثالية.

وصولا إلى نظرية النشوء والارتقاء التي أخذت جزء لا يتجزء من فكره حيث أثارت جدلا كبيرا والتي تصادم مع الكثير من الثوابت الراسخة والمعتقدات الدينية بعد ما طرح فكرة أن جميع الكائنات على الأرض جاءت من أصل واحد في نشؤها وارتقاءها وموادها وقواها وما تلبث إلا أن تتغير وتتبدل باستمرار من حال إلى حال كما أنها شديدة الاتصال بعضها إلى بعض وبعدما درست هيكل فكره والذي قامت عليه فلسفته انتقلت إلى النهضة في فكره انطلاقا من تحديد الأسباب العامة للتخلف الشرقين خصرها شميل في الدين الذي اعتبره صناعة بشرية.

كما انه يتطور مثل تطور الإنسان كما يهاجم الاستبداد بكافة أشكاله ويدعو إلى الثورة والتحرر منه كما ينادي بالحرية الفكرية والأخذ بالعلم الطبيعي فهو الكفيل وحده والسبيل الوحيد القادر على قلب الموازين كما انتقد بشدة المناهج التقليدية والعلوم الجدلية التي لا تحقق له ضرا ولا نفعا كما يتطرق إلى إصلاح التعليم وإدخال النظرية الداروينية إلى المنظومة التعليمية كحقيقة علمية مثبتة لا جدال فيها.

وفي الأخير خصصت جزء من بحثي للنقد نظرية النشوء والارتقاء وفي الحقيقة انا اعتبر فكر شميل مثيرا للاهتمام حقا! كما أوافقه في بعض الأحيان على أن العرب فعلا تمسكوا بماضيهم وتمسكوا بتراث القديم دون أن يسلطوا الضوء على العلم الطبيعي لان في رأيي أيضا أن العلم قادرا على تحقيق التقدم وتحقيق نهضة لكن حبئذن تكون النهضة في الدين نفسه لا بفصله فهو لا يقيد حرية الإنسان.

كما يرى شميل وإنما هو التحرر بذاته وبالرجوع إلى الدين الإسلامي وشرائعه وآدابه كفيلا أن يحقق نهضة عربيه كما اعتبر هذا التحرر الذي يدعو إليه والعلمانية في فكره هي مجرد فكرة أوروبية لأوضاع أروبية بامتياز كما يقول محمد عمارة و الإسلام هو غير ذلك إذا لا توجد كنيسة في الإسلام.

أما عن نظريته وبدراسة معمقة لها وجدتها مبينة على أوهام أو حقائق عقيمة وخاصة عند القول أن الإنسان من أصل حيواني أليس هذا انحطاطا لقيمة الإنسان أن نرده حيوانا ..إلا أننى اعتبر شميل قد تناول قضية جوهرية وقد أحرز مكانة جديرة في القرن التاسع عشر سواء بماديته أو نظريته أو فلسفته إلا أن هذه النهضة قد بقيت مجرد اسطر في كتابات شميل ولم تحقق من مبادئها شيئا.

قائمة المصادر

والمراجع

I. المصـــادر:

1- تشارلس داروين: أصل الأنواع، تر: إسماعيل مظهر، د.ت.

2- تشارلس دراوين: نشأة الإنسان والانتقاء الطبيعة،تر:محمود المبلحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة مصر، 2005م.

3- شبلي شميل: فلسفة النشوء والارتقاء، ط1، دار مارون عبود، بيروت،1983م.

4- شبلي شميل: كتابات سياسية وإصلاحية ،ط1، تر: زروق سعد، دار الحمراء، بيروت، 1991م.

5- شبلي شميل:آراء دكتور شبلي شميل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت.

6- شبلي شميل:الحقيقة، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، د.ت.

7- شبلي شميل : المجموعة مطبعة المعارف بشارع الفجار، المجلد1، ج2،د.ط، د.ت.

المراجع

1- أبو زيد فاروق: عصر التنوير العربي، بيروت، 1983.

2- أحمد برقاوي: في الفكر العربي الحديث والمعاصر، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،2015م.

3- إبراهيم سعدي، المجتمع العرب نظرات في الفكر والثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر،2009.

4- ألبرت حوراني: عصر النهضة(1795-1939)،دار النهار للنشر.

5- أورخان محمد علي: نظرية دارون إمام العلم الحديث، ط1، دار النشر بيروت، 1998م.

6- ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1798 1939تر كريم عزقول دار النهار للنشر بدون طبعة بدون سنة

07-حسين سعد: بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند بعض المفكرين العرب المسلمين في مصر، (1900م-1318هـ/1964م-1384هـ)، المؤسسة الجامعية للدراسات - والنشر والتوزيع،ط1، بيروت لبنان،1993.

08- حسين مؤنس: تاريخ موجز للفكر العربي، دار الرشاد، د.ط، 1996،ص340.

09- رزان محمود إبراهيم: النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة دار النشر،عمات،2003م.

10-رفعت سعيد: ثلاثة لبنانيون في القاهرة شبلي شميل فرح أنطون رفيق حبورط، ط1، دار الطليعة للطباعة النشر،بيروت،1973م.

11- ضيف الله محمد الأخضر:محاضرات في النهضة العربية، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، د.ت.

12- طالب الجنابي: نظرية التطور الدارونية خرافة باسم العلم، ط1، دار الأضواء ، بيروت لبنان.

13- عبد الآله: الثقافة العربية في القرن العشرين، مركز الدراسات الوحدة العربية،د.ط، بيروت،د.ت.

14- عبد المنعم الخفني:موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج2،مكتبة...، ط1999، القاهرة،ص1432.

15- عيسمى شبلي، العلمانية والدولة الدينية،ط1 ، دار الشؤؤون الثقافية، العاصمة، بغداد، 1986م.

16- ماجد فخري الحركات الفكرية وروادها اللبنانيون في عصر النهضة 1800...1932 دار النهار للنشر بدون طبعة لبنان 1992م.

17- محمد العبدة: دروب النهضة أحاديث في الثقافة وشؤون الأمة، دار الإعلام، ط1،عمان الأردن، 2003م.

18- محمد عمارة: نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام دار الرشاد ط 2 القاهرة 1998

19- مظهر إسماعيل: ملقى السيل في مذهب النشوء والارتقاء، دار العصور، القاهرة،1963م.

20- نعيم الباقي: حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة من مركز الإنماء الثقافي الحضاري، ط، سوريا، 2000م.

21- هشام شرابي: المثقفون العرب والغرب، دار النهار للنشر، ط2، بيروت لبنان، 1981.

22- هيثم طلعت: 40خطأ في نظرية التطور أخطاء لا يريدونك أن تعرفها!! ،د.ط،دت.

II. المعاجم :

1-أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفة، تر: خليل أحمد خليل،ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس،2001.

2- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، ط4، القاهرة مصر، بدون سنة.

3- مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار أنامة للنشر و التوزيع بط،1999، القاهرة،ص1432.

4-جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بدون ط، جزء2 بيروت لبنان 1982.

5-جيرارد: موسوعة لمصطلحات الفكر العربي الإسلامي الحديث،ج3، ط1،مكتبة لبنان، بيروت، 2001م

6- مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية ط4، 2004

7- محمد لوزواوي: معجم المصطلحات الفلسفية، الدار الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 2009م.

III. المجلات:

1- أحمد ماضي: شبلي شميل رائد العلم والتفكير العلمي في الشرق العربي، مجلة شؤون العربية، تشرين الثاني،1982م.

2- حسين إبراهيم: شبلي شميل داعية العقائدية الغربية، مجلة الفكر العربي عدد9-40، 1985م.

IV. الرسائل الجامعية:

1-بسام علي المومني:العلمانية بين فرح أنطون وشبلي شميل، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية،2002م.

جدول

المحتويات

جدول المحتويـــــات

المحتويات	الصفحة
شكر و تقدير	
إهداء	
المقدمة	أ- ت
الفصل الأول: ضبط المفـــاهيم	**22-5**
المبحث الأول: مفهوم النهضة	11-5
المبحث الثاني: مفهوم الداروينية	16-12
المبحث الثالث: مفهوم العلمانية	22-17
الفصل الثاني: المنهج التطوري في فلسفة شميل	**44-24**
المبحث الأول: الخلفية الفكرية لشبلي شميل (داروين)	30-24
المبحث الثاني: فلسفة شميل المادية	37-31
المبحث الثالث: نظرية النشوء والإرتقاء	44-38
الفصل الثالث:النهضة في مشروع شبلي شميل	**70-46**
المبحث الأول: أسباب تأخر العرب	56-46
المبحث الثاني: استراتيجية تجاوز التخلف	64-57
المبحث الثالث: نقد نظرية النشوء والإرتقاء	70-65
الخاتمـــــــــة	74-72
قائمة المصادر والمراجع	79-76
الفهرس	81

الملخص:

تبحث هذه الدراسة إلى قضية جوهرية في الفكر العربي الحديث في القرن التاسع عشر ألا وهي النهضة في فكر شميل انطلاقا من الركائز الأساسية في فكره وفلسفته النهضة الدارونية والعلمانية إلى المنهج المتبع في تحقيق النهضة الذي يطمح إليها وأخيرا ووصولا إلى تحديد الأسباب التي تعيق التقدم في المجتمع العربي وطرح المشروع النهضوي من خلال التحرر الفكري من خرافات والأوهام.

الكلمات المفتاحية: .التحرر الفكري .العلم .النشوء والارتقاء

Resume:

Cette étude examine la question fondamentale dans la pensée arabe moderne au XIXe siècle, mais une renaissance dans la pensée Shameel hors des piliers fondamentaux de l'idée et de la philosophie de la Renaissance du darwinisme et de la laïcité à l'approche de la réalisation de la Renaissance, qui aspire à et une finale vers le bas pour identifier les raisons qui entravent le progrès dans la communauté arabe Le projet a mis la renaissance à travers la liberté intellectuelle des mythes et des illusions.